بسم الله

عبد الحميد رميته , الجزائر

بين الاعتدال والتعصب :

فهرس

1- الأدب في الحوار والتواضع في التعامل :
2- خاصة وأنت تكتب في المنتديات :
3- عن كظم الغيظ والعفو عن الناس :
4- عن لعن المسلم لأخيه المسلم المعين :
5- لمن قال بأن الأشاعرة والماتريديين ضالون ومنحرفون :
6- الإسلام طريق مستقيم وليس خطا مستقيما :
7- مواقف مقبولة , وموقف واحد مرفوض جدا :
8- عن حكم الإسلام في سماع الموسيقى :
9- وقفات بسيطة مع السنة والبدعة :

بسم الله مرة ثانية

1- الأدب في الحوار والتواضع في التعامل :

قال الله تعالى " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي , فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها , والله سميع عليم " , وقال " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون " .

إنها الحرية الإنسانية بأجلى معانيها : أن تكون حرا أمام الطواغيت , أي أن ترفض أن تكون عبدا لأحد , بل الإنسان حر في اختياره حتى مع الله جلت عظمته . إن الله لا يريدك عابدا له بالإكراه , بل منحك حرية الاختيار في ذلك " وقل الحق من ربكم , فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ". إن القرآن يدعو إلى الحوار المعرفي الذي ينبغي التوصل إلى الحقيقة الموضوعية , وهذا ما نقرأه في الآية " وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين " . أنظر أخي القارئ الأدب القرآني في الحوار والنقاش . حتى مع الكفار فإن الله اعتبر كأن الطرفين متساويان في الهدى أو الضلال , مع أن المؤكد هو أن الإسلام حق وأن الكفر باطل , ولكن الله يُعلّم رسولَ الله والمؤمنين من بعده أدبا من آداب الحوار والنقاش كوسيلة من وسائل كسب الطرف الآخر من خلال الأدب في الحوار والخلق في النقاش . المسألة إذن هي البحث عن الحقيقة , وللناس الحرية المطلقة فيما يختارون من معارف

وثقافات , على أن يتحملوا بعد ذلك نتيجة اختيارهم : إما إسلام وسعادة الدارين , وإما كفر مع شقاء الدارين والعياذ بالله . سبحان الله ! ما أعظم هذا الأدب في الحوار وما أروع هذا الخلق في النقاش . " وإنا " , نحن المسلمون , " أو إياكم " , أي أنتم الكافرون , " لعلى هدى أو في ضلال مبين ". وكأن الله يُـعلِّـم رسول اللهَ صلى الله عليه وسلم أن يقول " أيها الكفار أنا لا أقول لكم أي الفريقين على هدى وأيهما على ضلال , ولا أقول لكم كذلك أين هو الحق وأين هو الباطل , ولكنني أؤكد لكم بأنه لا يوجد إلا طريقان أحدهما فيه خير الدارين والآخر فيه شقاء الدارين . فاجتهدوا في الاجتهاد والبحث عن طريق الخير وعن موضع الحق وعن أهل الهدى , لتفوزوا الفوز العظيم , وإلا فلا تـلوموا في الـنهاية إلا أنفسكم .

ثم لننظر كذلك إلى قول الله عزوجل على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام في قصة " يوسف " , وهو يتحدث عن إخوته الذين ظلموه ظلما فاحشا حين أرادوا قتله ثم كذبوا على أبيهم حين ادعوا له بأن الذئب أكله " وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو , من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي . إن الله لطيف لما يشاء , إنه هو العليم الحكيم " . أنظر أخي إلى أدب سيدنا يوسف : مع أن إخوته هم الظالمون له بكل تأكيد , ومع أن الشيطان قد استولى على إخوته لا عليه هو , ومع أن نفوس إخوته هي الأمارة بالسوء لا نفسه هو , ومع أن هواهم هو المضل وأما هواه هو فكان وفق ما يحبه الله , ومع ذلك فلم يشأ سيدنا يوسف أن يُحرِج إخوتَـه ويقول لهم " ظلمتموني وأسأتم إلي واعتديتم علي و... الشيطان استولى عليكم , ونفوسكم أمارة بالسوء , وهواكم ضال ومضل , و... " , ولكن سيدنا يوسف أدبه ربه فأحسن تأديبه وعلمه ربه فأحسن تعليمه , ولأنه كان قمة في الأدب والخلق والتواضع مع من ظلمه واعتدى عليه وأساء إليه فإنه قال " من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي " . الله أكبر .

سبحان الله ! إذا نظرتُ إلى هذا الأدب وهذا الخلق القرآني في النقاش من خلال قول الله " وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين" , وكذا إلى هذا الأدب والخلق والتواضع من سيدنا يوسف مع إخوته من خلال قول الله " من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي " , ثم نظرت إلى بعض الإخوة السلفيين المتعصبين (لا المعتدلين) هنا وهناك كيف أنهم لا يعرفون في الحوار مع مسلمين لا مع كفار , ومع مسلمين لا مع فرعون الذي قال الله لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في شأنه " قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ", لا يعرفون إلا السب والشتم وسوء الظن وعدم التماس الأعذار والاتهام بالباطل والإلصاق بالغير لـتهم الضلال والانحراف والابتداع والكفر والنفاق والفسق والفجور و... قلتُ : إذا نظرتُ إلى أدب وخلق القرآن في الحوار وكذا إلى تواضع سيدنا يوسف مع إخوته , ثم نظرتُ إلى واقع بعض السلفيين في الحوار وكذا إلى تعاملهم العنيف والفظ الغليظ مع إخوانهم في الإسلام وفي الدعوة , رأيتُ فرقا وبعدا أكبر مما بين السماء والأرض , ووجدتُ نفسي مندفعا وتلقائيا للقول " الحمد لله الذي عرفنا بالإسلام قبل أن يعرفنا بالبعض من هؤلاء السلفيين المتعصبين " .
والله أعلم بالصواب .

.....

2- خاصة وأنت تكتب في المنتديات أو في الفيس بوك أو... :

الكل والجميع إخوتك تحبهم وإن لم يحبكَ البعضُ منهم . تتفقون وأنتم إخوة وتختلفون وأنتم إخوة كذلك . أصولُ الإسلام العظيم تجمعكم واختلافكم لا يجوز أبدا أن يفسد للود والإخاء الذي بينكم قضية . أنتم إخوة ولستم خصوما . أنتم إخوة ولستم أعداء . يجب أن تدخروا الشدة للأعداء , وأما فيما بينكم فالرحمة هي التي يجب أن تسودَ . يجب أن تدخروا العزة للكفار , وأما فيما بينكم فالذلة هي التي يجب أن تنتشر .
أخي الكريم لأنك تحب أن تكون من أصحاب الأدب في الحوار , وأن يكون خلقك من أخلاق القرآن , فإن عليك أن تحاول ما استطعتَ - خاصة وأنت تكتب في المنتديات - أن :

1- تُحسنُ الظن بأخيك , مهما أساء هو الظن بكَ .

2- وتدعوَ له بالخير , مهما فعل هو غيرَ ذلك معكَ .

3- وتدعوَ له بالخير من أعماق قلبكَ وأنتَ تُحبه , مهما حملَ هو في نفسِه اتجاهكَ من شر وهو يكرهُكَ .

4- وتلتمسُ له الأعذارَ مهما لم يلتمسْ هو لكَ أيَّ عذر .
5- وتَقبلُ أن يخالفكَ في مسائل اجتهادية فرعية ثانوية , مهما ضاق صدرُه هو عن ذلك .
6- وتقولُ له القولَ اللينَ وتُذِلُّ نفسكَ له , مهما قال لكَ هو القولَ الخشنَ وأظهرَ هو العزةَ أمامك وأمامَ أخيه المسلم .
7- وتَدَّخرُ الشدةَ والغلظةَ لعدو الإسلام , مهما سخَّرها هو معكَ أنتَ , وأنتَ أخوه المسلم .
8- وتعتبرُ أنتَ – ما دام الخلاف بينك بين أخيك في مسألة غير أصولية – أن رأيكَ صوابٌ ولكنه يحتمل الخطأَ وتعتبر في المقابل أن غيرَك على خطأ ولكنه خطأٌ يحتملُ الصوابَ . هذا منهجُك , مهما سار أخوكَ معكَ بمنهج معكوس ومقلوب , أي على اعتبار أنه هو على صواب لا يحتملُ الخطأَ وأما أنتَ فيعتبركَ على خطأ لا يحتمل أيَّ صواب .

9- وتحترمُ كلَّ العلماء والدعاة مهما لم تقتنع بالبعضِ من الآراء عند بعضهم في بعضِ المسائل , تحترمهم جميعا وبلا استثناء وتسألُ الله أن يجعلهم من أهل الجنة وأن يحشركَ أنتَ معهم . هذا منهجك , مهما تعصب غيرُك واحترمَ من اقتنع بآرائهم ولكنهُ رفض غيرَهم من العلماء والدعاة وطعن فيهم .

10- وتكتفي أنتَ بنقد أفكار غيرك , مهما تحولَّ هو إلى تجريحكَ أنتَ كشخص.

11- وتـتعامل مع غيركَ بروح القرآن وحقيقته مهما تعامل معكَ هو بشكل القرآن فقط.
12- وأنتَ مستعدٌّ لأن تضعَ رقبتكَ أمامه ليطأ عليها من أجل أن يسمح لكَ ويغفر لكَ ولو خطأ بسيطا ارتكبته في حقه هو , تـفعلُ هذا معه مهما أصر هو على ظلم أخيه الظلمَ الكبير بدون أن يهتزَّ عقلُـه أو قلـبُـه من أجل أن يعتذر إليه .
13- وأنتَ إن دعوتَ له بالهداية فعلى اعتبار أنه مهتدي بإذن الله وأنتَ تريد له ولكَ الزيادةَ , مهما تعامل معكَ هو بطريقة مخالفة وسأل الله لك الهدايةَ على اعتبار أنك ضالٌّ ومنحرفٌ .

14- وأنتَ تدعو له بالعلمِ على اعتبار أنه متعلمٌ وأنتَ تـسألُ الله لكَ وله الزيادة , مهما تعامل هو معكَ بطريقة معاكسة وسأل الله لكَ العلمَ على اعتبار أنكَ جاهلٌ .
15- تـختلف أنتَ وأخوكَ في مسائل فرعية ثانوية اجتهادية , ومع ذلك تبقى تحبه وتحترمه وتقدره لأن ما يجمعكَ بهِ أكثر مما يفرقكَ عنه , ويبقى الودُّ والحب والأخوة سائدة بينكَ وبينه . وافقك أخوكَ : هو أخوكَ , وخالفكَ : هو أخوكَ كذلك . أنتَ تسيرُ معه على هذا السبيل مهما تعامل معكَ هو كما يتعاملُ المتعصبون مع غيرهم " إما أن تكون معي , وإلا فأنت ضدي ".

16- قال الله تعالى " قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى" , قال ذلك لرسولين عليهما وعلى رسولنا محمد الصلاة والسلام , ومن أجل الحوار مع فرعون عدو الله وعدو الدين . ومنه فأنتَ تتعامل باللين والحلم والأناة والرحمة والذلة " أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " , " أشداء على الكفار رحماء بينهم " , " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " , قلتُ : فأنتَ تـتـعاملُ باللين من باب أولى مع أخيك المسلم . هذا منهجك في الحوار , مهما كان أخوكَ خشنا معك وشديدا معك وفظا غليظا معك , ومهما غضب منكَ أو عليكَ ومهما كان قاسيا عليك .

*إنه أخوك , مهما بغى عليكَ .

** تـقبلُ رأسَـهُ ويديه , لا لشيء إلا لأنه أخوكَ .

*** " أخي " , ما أحلاها كلمة إذا أخذناها كما أكد عليها القرآن الكريمُ !. قال الله تعالى " إنما المؤمنون إخوة " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده " .
وأخوة الإسلام – بعد أركان الإسلام – تعتبـرُ من أعظم الواجبات الإسلامية وأوكدها إطلاقا .
والله أعلم بالصواب , وهو وحده الموفق والهادي لما فيه الخير .

.....

3- عن كظم الغيظ والعفو عن الناس :

1- فرق بين من يبدأ في جهاد نفسه على الصبر على ظلم الغير من الصغر ومن لا يبدأ ذلك إلا عند الكبر . الأول سهلٌ والثاني صعبٌ .
2- فرقٌ بين حقوق الله التي لا يجوز التساهل فيها وحقوق النفس التي يستحب التسامح معها أو حيالها .
3 - إذا قدرنا على مقابلة السيئة بالحسنة فذلك أحسن , وإلا فلا نقابلها بشيء , وإلا - إن ضعفنا - فلا يجوز أن تُقابَل السيئةُ بأكثر منها .
4- فرق بين أن تغضب لنفسك وبين أن تغضب لعرضِ أخيك . في الأول الأفضل كظم الغيظ , وأما في الثاني فيستحب أن تغضبَ , تغضب ولكن لا تفعل إلا جائزا ولا تقول إلا مباحا .
5- هناك سيئات يرتكبها الغيرُ ضدنا أو ضد من نحب , ولكن لا يجوز لنا أن نرد بمثلها . ومنه فمثلا إن سبني أحد أو سب من أحب فلا يجوز لي أن أسبه (إن سببتُه) إلا باستخدام ألفاظ نظيفة وبدون أن أكذب أو أكفر أو أسب أباه أو أمه أو ... فإن فعلتُ شيئا من ذلك وقعتُ فيما هو حرامٌ .
6- من أهم ما يعيننا على كظم الغيظ والعفو عن الناس :
* قوة الإيمان بالله واحتساب الأجر عند الله .
** التربية الروحية بجملة أشياء , منها الصلاة جماعة وقيام الليل والنوافل في الصلاة والتطوع في الصيام وزيارة المقبرة وعيادة المريض وحضور الجنائز ومحاسبة النفس وذكر الله والدعاء وتلاوة القرآن و ...
*** قراءة قصص العلماء والصالحين وسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسير صحابته رضوان الله عليهم و ... خاصة منها التي تتحدث عن مقابلة السيئة بالحسنة وعن الحلم والأناة والرحمة والتواضع والأدب في الحوار وعما يشبه ذلك ...
**** وضع النفس دوما في مكان من نغضبُ عليه ونريد أن لا نسامحَه أو نريد أن ننتقمَ منه , ولنتذكر حديثَ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " , وكذا تذكر " ... لا تغضب ... لا تغضب ... لا تغضب ... تدخل الجنة " و " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس" .
والله وحده الموفق لما فيه الخير .

.....

4- عن لعن المسلم لأخيه المسلم المعين

من المعروف بداهة في ديننا أنه لا يجوز للمسلم أبدا أن يلعن أخاه المسلم المعين , لا يجوز له ذلك أبدا مهما أخطأ الأخُ الآخر أو عصى , أو مهما كان الآخرُ فاسقا أو فاجرا أو ...

لا يجوز للمسلم أن يلعن آخرَ معينا ما دام مسلما . وحتى الكافرُ فالأولى أن لا يُلعن إلا إن تيقنا بأنه مات على الكفر الذي لا شك في أنه كفر .

يجوز أن نقول (لعنة الله على الظالمين) , ولكن لا يجوز أن نلعن مسلما بعينه مهما كان ظالما , ونفس الشيء يُـقال عن السارق والكاذب والخائن وشارب الخمر والزاني والغش و ...

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : جاء نقلا عن شبكة أنا المسلم :

[" ليسَ المؤمِنُ بِطَعّان ولا لعّان ولا فاحِش ولا بَذيء ". من سب مسلماً فقد فسق لقوله صلى الله عليه وسلم " سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر " (متفق عليه) . ومن لعن مسلماً فكأنما قتله لقوله صلى الله عليه وسلم " ومن لعن مؤمنا فهو كقتله ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله " أخرجه البخاري . قال تعالى " ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان , ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون". (الحجرات:11) .

ومعنى هذا أن من فعل ذلك كان فاسقاً بعد أن كان مؤمناً . ولا يجوز لمسلم أن يستحل سب المسلم أو شتمه أو عيبه أو غيبته إلا في حق كأن يكون مظلوماً يرد عن نفسه . ولا شك أن الصفح والمغفرة أعظم وآجر عند الله لقوله تعالى " ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور" الشورى : 43 .

إن اللعن والسب والشتم والفحش في الكلام والطعن في الأنساب ، كل ذلك ليس من شيم المتقين . وسباب المسلم فسوق يعني أن السابّ نفسه فاسق , لأن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما لعن من فعل فعلا معينا دون تخصيص لأحد فهو جائز ، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، ولعن من لعن والديه ، و... ، وقد لعن الله تعالى في القرآن الظالمين والكاذبين , لكن بدون تخصيص لشخص بعينه .

والمؤمن بعيد عن السب والشتم ولا يستخدم الألفاظ البذيئة في جد ولا هزل ولا في رضا أو غضب] . ا.هـ.

ولكن – وكما قلتُ قبل قليل – لا يجوز أبدا أن يلعن المسلمُ أخاه المسلمَ المعينَ مهما كانت حالة الآخرِ من فسوق وعصيان , ومهما كانت نية اللاعنِ طيبة وحسنة . هذا أمر لا خلاف في حرمته وعدم جوازه .

ومع ذلك – وللأسف الشديد – هناك سلفيون متعصبون يلعنون إخوتهم في الإسلام , فقط بسبب الاختلاف معهم في مسائل فقهية فرعية ثانوية اجتهادية , أو بسبب أن إخوتهم ليسوا منهم , أي ليسوا سلفيين , أو ليسوا سلفيين متعصبين .

.....

5- لمن قال بأن الأشاعرة والماتريديين ضالون ومنحرفون :

أولا : مقدمة :

1- بدون الدخول في تفاصيل المسائل الاعتقادية الخلافية داخل أهل السنة والجماعة (التي هي الفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة أو السلف الصالح أو ...) .
2- وبدون إعادة الحديث وتكراره , والمتمثل في أن أهل السنة والجماعة يشملون 3 فرق هي السلفية والأشاعرة والماتريدية , وليسوا فرقة واحدة فقط والتي هي السلفية .
3- وبدون إعطاء أمثلة وتقديم أدلة على أن الخلافات بين الفرق الثلاثة هي خلافات بسيطة وفرعية وثانوية في العقيدة وليست خلافات في أصول العقيدة .
4- وبدون إعادة التأكيد على أن القولَ بأن " الأشاعرة والماتريدية " فرقتان ضالتان ومنحرفتان , هو قولٌ باطل وهو قولٌ بلا دليل وهو قولٌ لا أساس له من الصحة .
5- وبدون لفت الانتباه من جديد وللمرة الـ 1000 إلى أنَّ المستفيدَ الأولَ من اتهام " الأشاعرة والماتريدين " بالضلال والانحراف والابتداع و... ليس هو الإسلام والمسلمون وإنما هم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم , أو قُلْ بأنَّ هذا الاتهام هو خدمةٌ للغربِ وأمريكا وإسرائيل الذين يريدون أن يُضعفوا المسلمين عن طريقِ تفتيتِ وحدتِهم .
6- وبدون أن نُتعب أنفسَنا من جديد لبيانِ أن المسائل الخلافية بين السلفية والأشاعرة والماتريدية هي مسائل لم يتحدثْ عنها اللهُ في القرآن الكريم ولا رسول الله عليه الصلاة والسلام في السنة الشريفة , وهي من صنعِ علم الكلام الذي نشأ بعدَ خير القرون .
7- وبدون أن نعيد بذل الجهد والوقت من جديد من أجل الإشارة إلى أن المسائل الخلافية بين الفرق الاعتقادية الثلاثة التي تشملُها الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) لا يعرفُ عنها أغلبُ المسلمين في كل مكان – حتى المثقفين منهم – شيئا , وحتى لو حاولوا فهمها فإن الكثيرين لن يفهموا منها شيئا . والله يستحيلُ في حقه أن يجعلَ من أصولِ الدين التي إن خالفها شخصٌ اعتُبِر مبتدعا وضالا ومنحرفا , مسائلَ لا يفهمها ولا يقدرً على فهمها أغلبيةُ الناس , لأن الله بهذه الطريقة يُعتبرُ قد كلَّفَ الناس ما لا يطيقون , وهذا مستحيلٌ في حقه سبحانه وتعالى – حاشاه وهو العدلُ , والرحمان الرحيم والحكيم الخبيرُ -.

ثانيا : كل هذا الجمهور من العلماء , كلهم أشاعرة أو ماتريديون :

قال الأستاذ الشيخ "يوسف القرضاوي" :
[فلو قلنا : إن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة !! لحكمنا بالضلال على الأمة كلها ، أو جلها ، ووقعنا فيما تقع فيه الفرق التي نتهمها نحن بالانحراف . . !! . ومن ذا الذي حمل لواء الدفاع عن السنة ومقاومة خصومها طوال العصور الماضية غير الأشاعرة والماتريدية ؟؟ . وكل علمائنا وأئمتنا الكبار كانوا من هؤلاء : , أذكرُ منهم :
الباقلاني ، الإسفراييني ، إمام الحرمين الجويني ، أبو حامد الغزالي ، الفخر الرازي ، البيضاوي ، الآمدي ، الشهرستاني ، البغدادي ، ابن عبد السلام ، ابن دقيق العيد ، ابن سيد الناس ، البلقيني ، العراقي ، النووي ، الرافعي ، ابن حجر العسقلاني ، السيوطي ، (ومن

المغرب) : الطرطوشي ، والمازري ، والباجي ، وابن رشد ((الجد)) ، وأبو بكر بن العربي المالكي ، والقاضي عياض ، والقرطبي ، والقرافي ، والشاطبي ، وغيرهم .
(ومن الحنفية) : الكرخي ، والجصاص ، والدبوسي ، والسرخسي ، والسمرقندي ، والكاساني ، وابن الهمام ، وابن نجيم ، والتفتازاني ، والبزدوي ، وغيرهم] . إنتهى كلام الشيخ يوسف القرضاوي .

ثم أقول : هذه كوكبة أخرى من العلماء ممّن ليسوا من أهل السنة والجماعة , إذا كان " الأشاعرة والماتريديين " مبتدعة وضالين ومنحرفين , وليسوا من أهل السنة والجماعة :

1- من أهل التفسير وعلوم القرآن :

القرطبي وابن العربي والرازي وابن عطية والمحلي والبيضاوي والثعالبي وأبو حيان وابن الجزري والزركشي والسيوطي والآلوسي والزرقاني والنسفي والقاسمي وغيرهم كثير ....

2- ومن أهل الحديث وعلومه : الحاكم والبيهقي والخطيب البغدادي وابن عساكر والخطابي وأبو نعيم الأصبهاني والقاضي عياض وابن الصلاح والمنذري والنووي والعز بن عبد السلام والهيثمي والمزي وابن حجر وابن المنير وابن بطال وشراح الصحيحين , وشراح السنن , والعراقي وابنه وابن جماعة والعيني والعلائي وابن فورك وابن الملقن وابن دقيق العيد وابن الزملكاني والزيلعي والسيوطي وابن علان والسخاوي والمناوي وعلي القاري والبيقوني واللكنوي والزبيدي وغيرهم كثير ....

3- ومن أهل الفقه وأصوله (من الحنفية) : ابن نجيم والكاساني والسرخسي والزيلعي والحصكفي والميرغناني والكمال بن الهمام والشرنبلالي وابن أمير الحاج والبزدوي والخادمي وعبد العزيز البخاري وابن عابدين والطحطاوي وغيرهم كثير ....

4- ومن المالكية :

ابن رشد والقرافي والشاطبي وابن الحاجب وخليل والدردير والدسوقي وزروق واللقاني والزرقاني والنفراوي وابن جزي والعدوي وابن الحاج والسنوسي وابن عليش وغيرهم كثير .

5- ومن الشافعية :

الجويني وابنه والرازي والغزالي والآمدي والشيرازي والاسفرائيني والباقلاني والمتولي والسمعاني وابن الصلاح والنووي والرافعي والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن الرفعة والأذرعي والإسنوي والسبكي وابنه والبيضاوي والحصني وزكريا الأنصاري وابن حجر الهيتمي والرملي والشربيني والمحلي وابن المقري والبجيرمي والبيجوري , وابن القاسم وقلوبي وعميرة والغزي وابن النقيب والعطار والبناني والدمياطي وآل الأهدل وغيرهم كثير ....

6-ومن أهل التواريخ والسير والتراجم :

القاضي عياض والمحب الطبري وابن عساكر والخطيب البغدادي وأبو نعيم الأصبهاني وابن حجر والمزي والسهيلي والصالحي والسيوطي وابن الأثير وابن خلدون والتلمساني والصفدي وابن خليكان وغيرهم كثير .....

7- ومن أهل اللغة :

الجرجاني والغزويني وابن الأنباري والسيوطي وابن مالك وابن عقيل وابن هشام وابن منظور والفيروزآبادي والزبيدي وابن الحاجب والأزهري وأبو حيان وابن الأثير والجرجاني والحموي وابن فارس والكفوي وابن آجروم والحطاب والأهدل وغيرهم كثير ....

8- ومن القادة :

نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي والمظفر قطز والظاهر بيبرس وسلاطين الأيوبيين والمماليك , والسلطان محمد الفاتح وسلاطين العثمانيين وغيرهم كثير ..... إلخ

وهم في الحقيقة كنجوم السماء لكثرتهم لا تحصيهم عدداً ...

ثالثا : ليس من حقك لأنه ليس من حقك :

ليس من حقك أخي الحبيب في كل مكان أن تعتبر الأشاعرة والماتريديين مبتدعة وضالين ومنحرفين , أو أن تعتبرهم ليسوا من أهل السنة والجماعة . لماذا ؟! ببساطة لأنه ليس من حقك أن تعتبر كلَّ العلماء الذين ذكرتُهم أعلاه (والذين لم أذكرهم أكثر وأكثر) ضالين ومنحرفين ومبتدعة .

رابعا : أنت أخي الحبيب بين مجموعة خيارات ليس لك غيرُها :

إن كنتَ أنتَ – أخي العزيز - ممن يقولُ بأن أهل السنة والجماعة هم السلفية فقط , وأن الأشاعرة والماتريديين ليسوا من أهل السنة , فإنكَ بذلكَ تكون قد وضعتَ نفسَك – شعرتَ أم لم تشعرْ بذلك – أمام 3 خيارت ليس لك غيرُها :

1- إما أن تقول " نعم إن الأشاعرة والماتريديين مبتدعة , وهم من أهل النار , لأنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة " , وتقول " هؤلاء الذين ذكرتَهم أنتَ قبل قليل – مهما كثُروا – ضالون ومنحرفون ومبتدعة " .

عندئذ أقول لكَ : بموقفِكَ هذا أنتَ سلِمتَ من التناقضِ , ولكنكَ وقعتَ في قمة التعصبِ المذموم والتزمتِ الممقوتِ والتشددِ المكروه والعياذُ بالله تعالى . وأنتَ كذلك بهذا الموقفِ ما أبقيتَ لنا ولجميع المسلمين والمؤمنين شيئا من الدين ومن الإسلام , بعد أن ضللتَ كلَّ هؤلاء العلماء الذين يُعدُّون بالآلاف على مر 14 قرنا من تاريخ الإسلام .

2- وإما أن تقول " نعم إن الأشاعرة والماتريديين مبتدعة , وهم من أهل النار , لأنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة " , ولكنكَ تقولُ بعدَ ذلك " لكنَّ هؤلاءِ الذينَ ذكرتَهم أنتَ قبل قليل ليسوا ضالين وليسوا منحرفين وليسوا مبتدعة "!.

وعندئذ أقولُ لكَ : أنتَ بموقفكَ هذا وقعتَ في التناقضِ التام بينك وبينَ نفسكَ . كيفَ تقول " كلُّ عاقل إنسانٌ " وأنتَ تعرفُ بأن محمدا عاقلٌ , ومع ذلك أنتَ تقولُ " ولكنَّ محمدا ليس إنسانا " . هذا غيرُ منطقي وغير... كيفَ تقولُ " الأشاعرة والماتريديون ليسوا من أهل السنة والجماعة " وأنتَ تعلمُ بأن هؤلاء العلماء الذين ذكرتُهم هم إما أشاعرة أو ماتريديون (يمكنكَ أن تراجعَ ما كتبوا أو ما كُتبَ عنهم) , ثم تستنتج في النهاية " لكن هؤلاء ليسوا ضالين ولا منحرفين ولا مبتدعة , وهم من أهل السنة والجماعة ".

هذا تناقضٌ واضحٌ وصريحٌ يا صاحبي !.
3- وإما أن تقول " نعم إن الأشاعرة والماتريديين مبتدعة , وهم من أهل النار , لأنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة " , ولكنكَ تقولُ بعدَ ذلك :" لكنَّ هؤلاءِ الذينَ ذكرتَهم أنتَ قبل قليل نقول فيهم ما قاله علماؤنا "
فأسألكَ : " وماذا قال علماؤكم فيهم ؟! " .
فتجيبُني " قالوا مثلا : ..." , فأقول لكَ : هذا الذي قالوا هو للأسف " تخلاط كبير وهو غير مقبول البتة " يا صاحبي !!!.

خامسا : " هذا خلط كبير وهو غير مقبول البتة " :

قال صاحبي : قال علماؤنا مثلا :
* " في الغالب أنهم (بعض شُراح صحيح البخاري رحمه الله تعالى) على طريقة الأشاعرة كابن بطال وابن التين , في الغالب أنهم ليسوا على معتقد أهل السنة والجماعة , هم يؤولون الصفات في الغالب ، فمثلا مسألة العقيدة إذا تكلموا في العقيدة أو في الصفات لا تأخذ عنهم ، لكن تستفيد منهم من شرحهم للحديث ".
** "كذلك الحافظ ابن حجر - رحمه الله – هو على طريقة الأشاعرة في الغالب . إنه فسر الصفات على طريقة الأشاعرة . هم علماء كبار ، ولهم أياد عظيمة ، ولهم اليد الطولى في الحديث ، لكن ما وُفقوا لمشايخ أهل السنة والجماعة ينشِّئونهم على معتقد أهل السنة والجماعة . هم اجتهدوا – في العقيدة - وظنوا أن هذا هو الحق ، وأن هذا هو التنـزيل . فلا تأخذ عن هؤلاء الشراح عقيدة ، لا ابن حجر ولا ابن بطال ولا ابن التين ولا غيرهم " . انتهى كلامُ أحد علمائنا عن البعض من الذين ذكرتَهم أنتَ قبل قليل .
*** وجاء في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لـ... ... رحمه الله ، المجلد الثامن والعشرون ، ما يلي :
سائل يقول " هناك من يُحذِّر من كتب الإمام النووي وابن حجر رحمهما الله تعالى ، ويقول : إنهما ليسا من أهل السنة والجماعة ، فما الصحيح في ذلك ؟
والجواب : "لهم أشياء غلطوا فيها في الصفات ، ابن حجر والنووي وجماعة آخرون ، لهم أشياء غلطوا فيها ، ليسوا فيها من أهل السنة ، وهم من أهل السنة فيما سلموا فيه ولم يحرفوه هم وأمثالهم ممن غلط ". انتهى .
فقلتُ لهُ : عندئذ أقولُ لكَ جملة مسائل ومجموعة من الأمور وأعلق على ما قلتَ بالتعليقات الآتية :

1- هذا " خلط كبير " . " ليسوا على معتقد أهل السنة والجماعة , ... لا تأخذ عنهم ، لكن تستفيد منهم من شرحهم للحديث ". هذا كلام غير مقبول شرعا. إن هؤلاء العلماء إن كانوا أشاعرة أو ماتريديين ولم يكونوا بالفعل على معتقد أهل السنة والجماعة , فإنهم لا يبقون علماء أبدا (وكيف يكون عالما في الدين من لم يكن من أهل السنة والجماعة ؟! كيف ؟!).ومنه فلا يجوز أن نأخذ علمَ الإسلام منهم ولا شرحَ الحديث منهم,لأن هذا دينٌ والدينُ لا يؤخذُ إلا من علماء بالفعل ومن علماء أهل السنة والجماعة بالذات. قد يكون الشخصُ مبتدعا ثم نأخذُ منه علمَ الرياضيات أو الفيزياء أو ... التي لا جنسيةَ لها , وأما العلمُ

بالإسلام فلا يؤخذُ إلا من عالم مسلم يعتقدُ بعقيدة أهل السنة والجماعة . لذا فكلمة " لا تأخذْ عنهم , ولكن تستفيدُ منهم من شرحهم للحديث " كلام لا معنى له ولا قيمة له بميزان ومقياس الشرع الحنيف .

2- هذا " قبضٌ على العصا من الوسط " كما يقولون . " كذلك الحافظ ابن حجر - رحمه الله – هو على طريقة الأشاعرة في الغالب , إنه فسرَ الصفاتِ على طريقة الأشاعرة ... هم علماء كبارٌ ولهم أياد عظيمة ولهم اليدُ الطولى في الحديث ، لكن ما وُفقوا لمشايخ أهل السنة والجماعة ينشِّئونهم على معتقد أهل السنة والجماعة . هم اجتهدوا – في العقيدة - وظنوا أن هذا هو الحق ، وأن هذا هو التنزيل . فلا تأخذ عن هؤلاء الشراح عقيدة ، لا ابن حجر ولا ابن بطال ولا ابن التين ولا غيرهم " .

ا- إذا كان المعنى أنهم من أهل السنة والجماعة ولكنهم أخطأوا في مسائل فرعية ثانوية بسيطة ضمن عقيدة أهل السنة والجماعة الطويلة والعريضة , فلا يجوز أن يقولَ العالِمُ عندئذ للأتباعِ " لا تأخذ عن هؤلاء الشراح عقيدة , لا ابن حجر ولا ابن بطال ولا ابن التين ولا غيرهم " , وإلا كان ذلك تعصبا مذموما من العالِم .

ب- أما إن كان المعنى هو أنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة لأنهم يختلفون مع أهل السنة والجماعة في مسائل أصولية وقطعية ولا خلاف عليها , فلا يجوز عندئذ أن يقول العالمُ للأتباع " هم علماء كبار , ولهم أياد عظيمة ولهم اليد الطولى في الحديث " وإلا كان ذلك تناقضا مفضوحا , إذ كيفَ يطلبُ منا العالِمُ أن نأخذ دينَنا – وشرحُ الحديث دينٌ – من ضال منحرف ومبتدع ؟!. كيف ؟!.

3- هذا كلام غريب وعجيبٌ . " لهم أشياء غلطوا فيها ، ليسوا فيها من أهل السنة ، وهم من أهل السنة فيما سلموا فيه ولم يحرفوه هم وأمثالهم ممن غلط " !!!. هذا كلامٌ لا يقبلُ ما دام الأمرُ دينا , وهو غيرُ مقبول من باب أولى ما دام الأمرُ متعلقا بالعقيدة التي هي أساسُ الدين .

ا- إذا كانتْ لهؤلاء العلماء (الأشاعرة والماتريديين) أشياء غلطوا فيها , وكانت هذه الأشياء من أصول الدين , فلا يبقى هؤلاء علماء . وعندئذ لا يجوز أخذ الدين منهم سواء في العقيدة أو في الفقه أو في الحديث أو في التفسير أو ... أو في أي شيء آخر : من أصول الدين أو من فروعه .

ب- وإذا قلنا عن هؤلاء العلماء بأنهم ليسوا في مسائل معينة (أصولية) من أهل السنة , فلا يبقى هؤلاء علماء . ولا معنى للقول بأنهم ليسوا من أهل السنة في شيء وهم من أهل السنة في شيء آخر !!!. إذا قال شخصٌ ما مثلا بأن المسيحَ عليه الصلاة والسلام بنُ الله , فإنه يعتبرُ بذلك كافرا ولا يجوزُ أن نأخذَ منه شيئا من الدين سواء تعلق بعيسى عليه الصلاة والسلام أو بالعقيدة أو بالفقه أو بالآداب أو بالأخلاق أو ...

وكذلك إن قال علماءُ (من الأشاعرة أو الماتريديين) قولا في العقيدة , واعتبرنا هذا القول ضلالا وانحرافا , واعتبرنا أصحابَه مبتدعين وأخرجناهم من دائرة أهل السنة والجماعة , فلا معنى بعد ذلك أبدا للقول " هم ليسوا من أهل السنة في شيء ... وهم من أهل السنة في شيء آخر "!!! أو " لا تأخذ منهم في شيء وخذ منهم في شيء آخر "!!!.

سادسا : وأنا أقول في النهاية :

إن مقتضى العدل والحق , وإن مقتضى التوسط والاعتدال , وإن مقتضى التيسير والتبشير وإن مقتضى ... أن نقول كما قلتُ أيام زمان في رسالتي " من حقك وليس من حقك " :

من حقك أن تعتبر بأن السلفية في العقيدة هي الأصوب ضمن الفرقة الناجية (من ال 73 فرقة التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كلها في النار إلا واحدة) ومن حقك أن تعتقد بهذه العقيدة وتتمسك بها وتعتز بها وتعلِّمها لكل من تحب من الناس وضمن أكبر دائرة ممكنة في المجتمع ... ولكن ليس من حقك أبدا أن تعتبر أن السلفية هي كل أهل السنة والجماعة وأن كل من عداها في النار , أي أنه ليس من حقك أن تمنع غيرك من الاعتقاد بأن أهل السنة والجماعة كما تشمل السلفيين فإنها تشمل كذلك الأشاعرة والماتريديين , لأنه وإن وجد علماء يقولون بأن أهل السنة والجماعة هم فقط السلفية , فإنه يوجد علماء آخرون كانوا ومازالوا وسيبقون - إلى يوم القيامة بإذن الله - يقولون على مر السنين بأن أهل السنة والجماعة تشمل كذلك الأشاعرة والماتريدية لأن الخلاف بين الجماعات الثلاثة بسيط جدا وهو فقط متعلق بفروع العقيدة لا بأصولها وبمسائل فرعية وبسيطة وثانوية لم يُفصل فيها الله ولا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم , ولا ينبني عليها أيُّ عمل ديني أو دنيوي . الذي يقود الجماعات الثلاثة علماء في العقيدة حسناتهم أكبر بكثير من سيئاتهم , وهم اجتهدوا في فروع العقيدة الإسلامية , وهم جميعا وفي كل الأحوال مأجورون بإذن الله أصابوا (لهم أجران) أو أخطأوا (لهم أجر واحد) . والصواب يعلمه الله وحده , ولا أحد في الدنيا يملك الدليل القطعي على أن فلانا من هؤلاء العلماء هو المصيب في المسألة الخلافية الفرعية الثانوية الفلانية وأن فلانا هو المخطئ . لا أحد , ومن ادعى ذلك فإنه لن يقدم دليلا أو شبه دليل على صحة دعواه .

.....

6- الإسلام طريق مستقيم وليس خطا مستقيما :

قال الله تعالى " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لستَ منهم في شيء , إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون " ... " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله , ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " ... " ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً . كلُ حزب بما لديهم فرحون".
ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن عائشة " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " . وذات مرة رسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً ثم تلا قول الله تعالى " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " ، ثم رسم على جوانب الخط المستقيم الطويل خطوطا متعرجة وقال (على كل طريق من هذا شيطان يدعو) .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن اتباع منهج الحق من كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم هما

طريق النجاة والهداية , ومن أسباب دخول الجنة . وأما غيرها أو نواقضها فهي طرق الهوى والغواية والضلالة , وهي كذلك أسباب دخول النار والعياذ بالله . ويجب أن يكون اتِّباعُ الكتاب والسنة على هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلى هدي التابعين لهم وعلى ضوء منهج سلف هذه الأمة من المحدثين الثقات , وكذا الفقهاء والعلماء والشهداء والصالحين المشهود لهم بالحق والعدل والصدق والثبات.

إذا فقهنا الدين حق الفقه , وعرفنا سنة رسول الله وسيرته حق المعرفة , ودرسنا التاريخ الإسلامي الدراسة الواعية , و... تأكدنا بما لا يدع أي مجال للشك أو الريب أن الخط المستقيم الذي خطه رسول الله عليه الصلاة والسلام في الحديث المشار إليه سابقا هو بمعنى الطريق والسبيل (الذي له عرض لا بأس به) , ولا يمكن أبدا أن يكون المقصود به الخط المستقيم المعروف في علم الرياضيات والذي هو خط رفيع نحصل عليه من خلال التوصيل بين نقطتين (أي أن الخط المستقيم هو أقصر خط بين نقطتين) , وهو خط رفيع لا عرض له.

والإسلام هو الدين الذي اختاره الله لعباده منذ سيدنا آدم إلى سيدنا محمد على رسل الله جميعا الصلاة والسلام , وهو الدين الذي جعله الله رحمة للعالمين , وهو الدين الذي جعل الله فيه خير الدنيا والآخرة , وجعل فيه – وفيه فقط- السعادة في الدنيا قبل النجاة الأبدية في الآخرة .
وكل الذي ذكرتُه والذي لم أذكره بديهي في ديننا , وهو مما هو معلوم من العقل والدين بالضرورة , وهو مما لا يختلف عليه إثنان ولا يتناطح عليه كبشان "كما يقولون" . ولكن الذي أريد أن أؤكد عليه وأنبه إليه وأشير إليه في هذه الرسالة البسيطة هو أن من رحمة الله بالناس عموما وبالمسلمين خصوصا , وكذا حتى يُصلح الإسلامَ لكل زمان ومكان : جعل اللهُ الإسلام طريقا عريضا وواسعا ولم يجعله خطا رفيعا ومستقيما .

1- الله يغفر للمسلم - أي مسلم - كل شيء , اللهم إلا الشرك . قال تعالى :"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفِر ما دون ذلك لمن يشاء ". نعم ! إن العبد أقربُ إلى الله وإلى سعادة الدنيا وإلى حسن الخاتمة وإلى جنة الخلد في الآخرة كلما كثرت طاعاته لله وقلت معاصيه , وكلما صدق مع الله وأخلص وجهه لله . كلُّ هذا صحيح , ومع ذلك فإن المسلم – عموما - يبقى مسلما , نستغفر الله له ونرجو له رحمة الله والجنة ونسأل الله أن يجنبه غضبه والنار , مهما ارتكب من معاصي وذنوب وآثام , ومهما ارتكب من خطايا , ومهما قتل وسرق وزنى و... وأسرف على نفسه , ومهما قتل ولو مائة نفس . قال الله عزوجل " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعا . إنه هو الغفور الرحيم ". ألا ما أوسع الإسلام الذي يريد بعض السلفيين المتعصبين أن يُضيقه !!!.

2- مسائل العقيدة الإسلامية الأصولية (مثل أركان الإسلام وأركان الإيمان و...) التي لا خلاف فيها , والتي بموجبها نحكم على الشخص بالإيمان أو بالكفر قليلة جدا , ولكن أغلب مسائل العقيدة (مثل علي بن أبي طالب أفضل أم عثمان بن عفان أفضل , ومثل زوجات النبي محمد عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهن أفضل أم الصحابة أفضل , ومثل إمكانية رؤية الله في المنام أم لا , ومثل إبليس كان جنيا أم ملكا , و ...) ثانوية فرعية مختلف فيها . وهذه

المسائل الثانوية في العقيدة تعد بالمئات إن لم أقل بالآلاف . اختلف العلماء فيها لأنه لم يرد فيها نص شرعي أساسا , أو لأنه ورد فيها نص شرعي ظني الثبوت أو ظني الدلالة أو ظني الثبوت والدلالة معا . وهذه المسائل الخلافية في العقيدة ليست موجودة فقط بين السلفية من جهة والأشاعرة والماتريدية من جهة أخرى , ولكنها موجودة وبكثرة حتى بين علماء السلفية أنفسهم . إذن يختلف ملايين المسلمين في كل زمان ومكان في تبنيهم لهذه العقيدة أو تلك (ضمن هذه الفرعيات التي أشرتُ إليها) , ومع ذلك يبقون جميعا مسلمين مؤمنين وموحدين بإذن الله . كما يمكن أن يكون المرء أشعريا ومسلما بدون أي تناقض , أو يمكن أن يكون ماتريديا ومسلما بلا أدنى تناقض بإذن الله . وحتى إن فرضنا بأن العقيدة السلفية هي الأقرب إلى عقيدة أهل السنة والجماعة , فإن السلفية - وبكل تأكيد - ليست هي كل أهل السنة والجماعة . ليست هي وحدها أهل السنة والجماعة , وليست هي وحدها الفرقة الناجية يوم القيامة , إلا في نظر المتعصبين من السلفيين .
ألا ما أوسع دائرة الإسلام التي يريد بعض المتعصبين أن يُضيقها !!!.

3- في الفقه الإسلامي : فقه العبادات أو المعاملات , نجد دوما أن المسائل المتفق عليها (والتي تشكل ثوابت الدين الإسلامي) أقل بكثير من المسائل الخلافية التي تُعد بالآلاف إن لم أقل بعشرات الألوف . وهذه المسائل الخلافية موجودة وكثيرة داخل المذهب الواحد , كما أنها موجودة ومتعددة فيما بين المذاهب الإسلامية السنية المختلفة . والمعروف أن الله لا يُعذب فيما اختلف فيه العلماء , ومنه فيكفي المسلم – أي مسلم – أن يأخذ دينه من عالم (أي عالم ما دام عالما) ولا يتبع السهل عند الفقهاء في كل مسألة , يكفيه ذلك حتى تبرأ ذمتُـه بإذن الله عند الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة . إذن يمكن للمسلم العادي أن يتبع في كل مسألة مذهبا واحدا (مالك أو الشافعي أو أبو حنيفة أو أحمد أو ... الألباني أو بن باز أو العتيمين أو القرضاوي أو ... أو بن حزم الظاهري أو جعفر الصادق أو ...) ويبقى مسلما , كما يمكنه أن يأخذ اليوم من مذهب وغدا من مذهب آخر (بدون أن يقصد اتباع السهل عند الفقهاء) ويبقى مسلما . يمكن للمسلم أن يعيش مالكيا ومسلما في نفس الوقت بدون أي تناقض أو ... أو حنبليا ومسلما في نفس الوقت بدون أي تناقض , أو ... أو ألبانيا (إن صح التعبير) ومسلما بدون تناقض , أو ... أو قرضاويا (إن صح التعبير) ومسلما بدون أي تناقض .
ألا ما أوسع الإسلام الذي ضيقه بعض الناس للأسف الشديد !!! .

4- في الدعوة والحركة والسياسة : مطلوب من كل مسلم أن يدعو إلى الله عزوجل وأن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر وأن يعمل من أجل تهيئة الجو المناسب لإقامة شرع الله أو للحكم بما أنزل الله . هذا أمر واجب على كل مسلم كوجوب الصلاة والصيام ولو بدرجات متفاوتة . ثم بعد ذلك اختلف العلماء قديما وحديثا عن الطريق الواجب اتباعه في الدعوة إلى الله , أو عن الطريق الأفضل اتباعه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و... وإذا أردنا أن نحترم كل العلماء ولا نتعصب لواحد منهم ولا ضد واحد منهم , فإننا نقول بأنه يمكن للمسلم أن :

* يدعو من خلال نفسه فقط دعوة فردية , وهو مسلم .
* يدعو من خلال جماعة خيرية ثقافية اجتماعية واقتصادية , وهو مسلم .

* يدعو من خلال طريقة صوفية (مستقيمة) وتربية أدبية خلقية وروحية , وهو مسلم.
* يدعو من خلال جماعة تربوية تعليمية تثقيفية وتوعوية , وهو مسلم .
* يدعو من خلال حزب أو تنظيم إسلامي ومن خلال شورى وانتخابات , وهو مسلم.
* يدعو من خلال الاحتكاك بعامة الناس أو المثقفين , وهو مسلم .
*يدعو من خلال مصارعة الحكومات والأنظمة الظالمة أو الكافرة بالوسائل السلمية والقانونية , وهو مسلم .
* يدعو من خلال التغلغل في أجهزة الحكومات والتغيير من الداخل , وهو مسلم .
* يدعو من خلال التغيير بقوة الساعد والسلاح أو ... من خلال تنظيم إسلامي مسلح , وانقلابات عسكرية , وهو مسلم .
* يدعو من خلال إعداد المسلمين للثورة الشعبية ضد الحكام ثم الحكم بما أنزل الله بعد ذلك , وهو مسلم .
أو...أو...أو... يمكن ... ويمكن... ويمكن ... وهو مسلم مؤمن يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه سبحانه وتعالى .
نعم قد تكون وسيلة أفضل من وسيلة في كل الأوقات والأمكنة , وقد تكون طريقةٌ أفضل وأنجع من طريقة أخرى في ظرف معين أو في مكان معين أو في زمان معين , وقد يكون أجر شخص أكبر من أجر شخص آخر , وقد يكون ... كل هذا صحيح , ولكنني أؤكد على أنه مهما تعددت الطرق والأساليب والوسائل والمسالك و ... فإن الجميع يبقون مسلمين موحدين مؤمنين بإذن الله تعالى .
ألا ما أوسع دائرة الإسلام التي يريد بعض المتشددين أن يُضيقها !!!.

5- ثم :
ا- من المسائل الفرعية في الفقه مئات أو آلاف أو أكثر , الحكم فيها عند علمائنا الأفاضل بين مكروه وحرام . وفيها إذا فعلها الشخص على اعتبار أنها مكروهة فقط , نسأل الله ألا يؤاخذه على ذلك ما دامت المسألة خلافية . وفي كل الأحوال يبقى الفاعل مسلما مؤمنا موحدا بإذن الله .
ب- من المسائل الفرعية في الفقه مئات أو آلاف أو أكثر , الحكم فيها عند علمائنا المسلمين بين مكروه ومباح . وفيها إذا فعلها الشخص على اعتبار أنها مباحة فقط فإنه لا يُؤاخذ ولا يُلام ولا يُعاتَب على ذلك بإذن الله ما دامت المسألة بين الكراهة والإباحة . وفي كل الأحوال يبقى الفاعل مسلما مؤمنا موحدا بإذن الله .
جـ- من المسائل الفرعية في الفقه مئات أو آلاف أو أكثر , الحكم فيها عند فقهائنا الكبار بين مباح ومستحب . وفيها إذا تركها الشخص على اعتبار أنها مباحة فقط , نسأل الله ألا يؤاخذه على ذلك ما دامت المسألة بين الإباحة والاستحباب. وفي كل الأحوال يبقى الفاعل مسلما مؤمنا موحدا بإذن الله تبارك وتعالى.
د- من المسائل الفرعية في الفقه مئات أو آلاف أو أكثر , الحكم فيها عند علمائنا الأفاضل بين مستحب وواجب . وفيها إذا تركها الشخص على اعتبار أنها مستحبة فقط , نسأل الله ألا يؤاخذه على ذلك ما دامت المسألة خلافية . وفي كل الأحوال يبقى الفاعل مسلما مؤمنا موحدا بإذن الله.

هـ- بل قد يختلف العلماء في أشياء بين الوجوب من جهة وما يُشبه الكراهة من جهة أخرى مثل قراءة البسملة في الصلاة قبل الفاتحة . ذهب الإمام مالك رحمه الله مثلا إلى أنه يستحب عدم قراءتها في الفرض وقال بأنه لا بأس من قراءتها في النافلة , في الوقت الذي ذهب فيه الإمام الشافعي رحمه الله إلى أن قراءتها في الفرض واجبة (لأنه يعتبرها آية من الفاتحة ومن كل سورة) , ومنه فمن لم يقرأها لم تصح الركعة التي صلاها بهذه الفاتحة المبتورة . والمؤكد بإذن الله أن المسلم ما دام يأخذ من عالم لن يؤاخذه الله ولن يحاسبه ولن يعاقبه . إذا صلى بالفاتحة بدون بسملة مقلدا للإمام مالك رضي الله عنه فصلاته صحيحة بإذن الله وهو مسلم موحد لله تعالى . ومن صلى بالفاتحة وقرأ البسملة قبل الفاتحة مقلدا للإمام الشافعي رضي الله عنه فصلاته صحيحة بإذن الله وهو مسلم مؤمن موحد لله عزوجل .

إن الإسلام طريق واسع وسبيل عريض يمكن أن تكون عند نصفه الأيمن وأنت مسلم مؤمن , كما يمكن أن تكون عند نصفه الأيسر وأنت مسلم مؤمن , كما يمكن أن تكون في وسطه وأنت مسلم مؤمن بإذن الله . ويمكن أن تكون على محيط الطريق بالضبط وأنت مسلم موحد بإذن الله . ويمكن أن تكون قريبا من الجانب الأيمن للطريق أو قريبا من الجانب الأيسر منه أو قريبا من منتصف الطريق من الجهة اليمنى أو قريبا من منتصف الطريق لكن من الجهة اليسرى , وأنت مع كل ذلك مسلم مؤمن موحد تنتمي إلى الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية : أهل السنة والجماعة .

ألا ما أوسع الإسلام الحقيقي الذي ضيقه بعض المتعصبين والمتشددين والمتزمتين من السلفيين الذين يعتبرونه خطا مستقيما وليس طريقا مستقيما . يعتبرونه خطا مستقيما :

ا- فإذا أخذت بقول في مسألة عقائدية فرعية غير ما أخذوا اعتبروك ضالا منحرفا .

ب- وإذا أخذت برأي في مسألة فقهية في العبادات أو المعاملات غير ما أخذوا اعتبروك مائعا ومنحلا .

جـ- وإذا أخذت برأي فرعي في مسألة من مسائل الدعوة والحركة والسياسة غير ما أخذوا أو انتميتَ إلى جماعة من الجماعات الإسلامية أو إلى حزب من الأحزاب الإسلامية أو إلى تنظيم من التنظيمات الإسلامية أو... التي لا يتفقون معها في كل شيء اعتبروك فاسقا فاجرا . وهكذا...

ومنه فإنني أقول في النهاية بأن الذي يفهم الإسلام كما أراده الله يفوز برضا الله أولا ثم يسعدُ مع نفسه ويُسعِدُ غيره ويعطي للناس المحيطين به في حياته وبعد موته صورة صادقة وصحيحة وطيبة ومباركة عن الإسلام .

وأما الآخر , أي الذي يفهم الإسلام :

*على أنه صعب جدا أو أنه غير ممكن تطبيقه على خلاف ما ثبتَ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" كلكم يدخل الجنة إلا من أبى " قيل "ومن يأبى يا رسول الله ؟ " فقال " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ".

* وعلى أنه دين عسر لا يسر .

* وعلى أنه دين تنفير لا تبشير .

* وعلى أنه دين فظاظة وغلظة لا دين معاملة طيبة وحسن عشرة .

* وعلى أنه دين سوء ظن لا حسن ظن .

* وعلى أنه دين تشاؤم لا تفاؤل .

* وعلى أنه دين النظر فيه إلى الحياة بعين واحدة سوداء لا بعينين ينظران إلى البياض أكثر مما ينظران إلى السواد .
* وعلى أنه دين السب والشتم لا دين الكلمة الطيبة والقول الحسن.
* وعلى أنه دين اتهام الغير لا التماس الأعذار للغير.
* وعلى أنه دين يعتبر أن الإنسان متهم قبل أن تثبت براءته , لا على أنه بريء حتى تثبت إدانته.
* وعلى أنه دين التكبر على العباد لا دين التواضع لهم.
* وعلى أنه دين التشدد مع الناس والتساهل مع النفس , لا على أنه دين التشدد مع النفس (إن شاء المسلمُ) والتساهل مع الغير.
* وعلى أنه دين التشدد والتعصب والتزمت لا دين التوسط والاعتدال.
*وعلى أنه دين الكذب على الله وعلى الناس ومع النفس لا دين الصدق مع الله ومع الناس ومع النفس.
* وباختصار على أنه خط رفيع ومستقيم لا طريق واسع وسبيل عريض يسع كل من أراد من الناس .
إن الذي يفهم الإسلام بهذا الشكل المعوج لا يمكن أن يعيش إلا شقيا . ولو زعم بأنه سعيدٌ , فإنه بلا أدنى شك مخطئ أو جاهل لأنه لا يعرف معنى السعادة , أو أنه كاذب لأنه يكابر . وهذا الذي يفهم الإسلام بهذا الشكل لا يمكن أن يكون داعية خير يجلبُ الناس إلى صف الإسلام وأهل الإسلام , بل سيكون حتما عاملا منفرا للناس من الإسلام , خاصة عند الجاهلين بالإسلام أو أصحاب الثقافة الإسلامية المحدودة .

.....

7- مواقف مقبولة , وموقف واحد مرفوض جدا :

مع كل مسألة خلافية بين الفقهاء يمكن للمسلم أن يقف أي موقف من المواقف الآتية , إلا موقفا واحدا لا يجوز له أبدا (شرعا وعقلا ومنطقا وعرفا و...) أن يقفه :

1- أن يذكر القولَ الذي يطمئن إليه هو , ولا يذكر الأقوال الأخرى لسبب أو لآخر , بل لا يشير أساسا إلى أن المسألة خلافية .ومثال ذلك أن يقول"لا يجوز للنساء أن تزرن المقابر".

2- أن يذكر أقوال الفقهاء المختلفة بدون أية إشارة إلى ما يميل إليه هو من هذه الأقوال ومثال ذلك أن يقول " اختلف الفقهاء فيمن لم يجد ماء يتوضأ به ولا صعيدا طيبا يتيمم به , بين : يصلي ولا يقضي , يصلي ويقضي , لا يصلي ولا يقضي , لا يصلي ويقضي ".

3- أن يذكر القول الذي يطمئن إليه هو , مع الإشارة إلى الأقوال الأخرى بدون (ذكر ضعيف أو قوي أو راجح أو مرجوح) من هذه الأقوال . ومثال ذلك أن يقول " أنا أرى أنه لا بد لنية الصيام الصحيح أن تكون قبل الصبح كما قال المالكية . ومع ذلك لقد قال آخرون من الفقهاء بأنه يجوز أن تكون النية بعد الصبح في صيام التطوع ".

4- أن يذكر القول الذي يطمئن إليه هو , وينبه إلى أنه يميل إليه أو يتبناه وإلى أنه يعتبره راجحا وقويا و... , ويذكر الأقوال الأخرى مع التنبيه إلى أنها مرجوحة وضعيفة في رأي من أخذ هو بقولهم من العلماء , ومع ذلك هو يحترمها ويحترم القائلين بها والعاملين بها . ومثال ذلك أن يقول " مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية حرام . هذا هو الصحيح والراجح والذي قال به الجمهور . وقال بعض العلماء " تجوز المصافحة " , وهذا قول ضعيف ومرجوح ولم يقل به إلا القليلون . ومع ذلك هو قول شرعي معتبر مهما كان ضعيفا . ومن قال به لن يُحرم بإذن الله من الأجر الواحد , ومن أخذ به من العامة معذورٌ شرعا بإذن الله , لأنه أخذ من عالم امتثالا لقول الله تبارك وتعالى " اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ".

هذه كلها مواقف مقبولة شرعا , وقد يكون موقفٌ أفضلَ – عموما - من موقف , وقد يصلحُ موقفٌ لشخص ويصلح موقفٌ آخر لشخص آخر , وقد يناسبُ موقفٌ ظرفا ولا يناسبُ ظرفا آخر , وقد يستحسنُ موقفٌ مع ناس ولا يستحسنُ مع آخرين , وقد يُقبلُ موقفٌ في وقت ولا يُقبل في وقت آخر , وهكذا ...

ولكن الموقف الخامس :

5- أن يذكر الشخصُ قولا يتبناه ويؤيده ويعتبره هو الحق , ويقول بأنه لا قول إلا هذا القول , أو ينبه إلى الأقوال الأخرى ولكنه يعتبرها ضلالا وانحرافا , ويعتبر من قال بها ليسوا علماء بل هم – عنده - جاهلون أو مائعون أو منحلون أو مبتدعة أو ... وأنه ليس لهم أجر على اجتهادهم , بل هم آثمون ... كما يعتبر من أخذ بهذه الأقوال من عامة الناس جهلة وضالين ومنحرفين ومائعين ومنحلين ومبتدعة و ... وأنهم آثمون , وأنه ليس لهم أي عذر عند الله إن أخذوا بهذه الأقوال من هؤلاء الذين يشبهون العلماء , ولكنهم ليسوا علماء !!!.

قلتُ : هذا الموقف غير مقبول ولا مستساغ , وهو مرفوض شرعا ومنطقا وعرفا وعقلا , وهو مرفوض بكل المقاييس . وهذا الموقف قبيحٌ جدا , لأنه لا يأتي إلا نتيجة جهل فضيع بالدين , ولا يصدر إلا من متشدد ومتعصب ومتزمت كما هو حال المتعصبين من السلفية . وهذا الموقف هو ضد :

أولا : " التبشير والتيسير " المطلوبين في الدين .

ثانيا : وهو ضد الحديث النبوي " من اجتهد فأصاب فله أجران , ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد " .

ثالثا : وضد قول الله تعالى " اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" .

رابعا : وهو ضد ما قاله بعض الفقهاء " رأيي صواب يحتمل الخطأ , ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

خامسا : وضد ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه " الله لا يعذب فيما اختلف فيه العلماء " .

سادسا : وهو ضد القول المأثور عن بعض العلماء " اختلاف العلماء رحمة " .

سابعا : وضد الحقيقة المعلومة عند العام والخاص من الناس ومن العلماء بأن " لحوم العلماء مسمومة " . وهو ضد أبسط آداب الكتابة وأخلاق الدعوة إلى الله تعالى .

ومثال ذلك أن يقول :

أ -سماع الموسيقى , أي موسيقى حرام . وهذا هو الحق الذي ما بعده إلا الضلال . وليس في الإسلام إلا هذا القول , والمسألة محل إجماع من طرف الفقهاء قديما وحديثا . (مع أنها في الحقيقة ليست محل إجماع) .

ب – الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (كيفما كان الاحتفال , ومهما كانت نية المحتفلين) حرام وبدعة شرعية , وضلال وانحراف . وقال بعضهم بأن الاحتفال جائز بشروط معينة . وهذا قول باطل لم يصدر إلا من أشباه علماء , وهو قول لا يجوز الأخذ به , لأنه ضعيف ومرجوح ومخالف للأدلة الثابتة من الكتاب والسنة . والأخذ بهذا القول فيه من الميوعة والانحلال ومن الضلال والانحراف , ومن الجرأة على دين الله ما فيه . والمسألة محل إجماع , والخلاف فيها لا يعتد به أبدا . (مع أن المسألة خلافية في حقيقة الأمر , كانت ومازالت وستبقى خلافية إلى يوم القيامة) .

.....

8- عن حكم الإسلام في سماع الموسيقى :

أولا : إن المسألة الدينية الفرعية تبقى فرعية إلى يوم القيامة :

إلا في حالات خاصة جدا يمكن أن نذكر منها :
ا- إذا بني الحكم في مسألة ما على عرف كان , ثم تغير.إذا تغير العرف تغير الحكم تلقائيا.
مثلا كان العرف يقتضي أيام زمان أن يعطى للمرأة أجرُها إذا أرضعت وليدها . أما اليوم فالعرف تغير وأصبح من الواجب على المرأة أن ترضع ولدها بدون أن تطلب (ولا حتى أن تفكر في طلب) أجرة على ذلك .

ب-إذا بني الحكم على ظن واجتهاد (لا على نص وشرع) ثم تبين بعد ذلك-بيقين-علميا وطبيا وصحيا أن ذلك الحكم كان خاطئا ,فيجب في هذه الحالة ترك الظن والعدول إلى اليقين العلمي الطبي الصحي(في غياب نص من الشرع بطبيعة الحال).
مثلا اختلف العلماء قديما في حكم التدخين بين الإباحة والكراهة , وأما اليوم فلقد تبين بألف دليل علمي ودليل , على أن التدخين مضر بالصحة وفيه من السيئات المؤكدة بيقين ما فيه . ولذلك فلا خلاف اليوم (بعدما كان الخلاف قائما أيام زمان) في أن التدخين حرام وحرام وحرام .
أما في أغلبية المسائل الخلافية خاصة منها المبنية على نصوص ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة والثبوت , فإن الخلاف كان ولا يزال وسيبقى إلى يوم القيامة .
مثلا مصافحة المرأة الأجنبية : قال قوم بحرمتها وقدموا على ذلك أدلة , وقال آخرون بجوازها وقدموا على ذلك أدلة . وأنت وإن حق لك أن لا تصافح امرأة أجنبية على اعتبار أنك اقتنعت بقول من قال بأنها حرام (وأنا بالمناسبة لم أصافح امرأة أجنبية منذ 1975 م عندما كنت تلميذا في الثانوية , وحتى اليوم) , فإنه لا يحق لك أبدا أن تمنع غيرك من الاقتناع بالقول الآخر . وإذا قدم أحد الفريقين أدلة وحججا وبراهينا على ما يقول فإن الآخر قدم كذلك أدلة وحججا وبراهينا , وإذا ادعى أحد الفريقين أنه أبطل ودحض أدلة الآخر فإن الآخر كذلك يدعي نفس الشيء , وإذا زعم أحد الفريقين أن قوله راجح فإن الآخر كذلك يزعم أن قوله راجح , وإذا رأى أحد الفريقين أن قوله مشهور يقول به الكثير من العلماء ويعمل به جمهور من الناس فإن الآخر كذلك يمكن أن يزعم نفس الشيء . وتبقى المسألة - في النهاية –خلافية , الله أعلم بالصواب فيها أو الله أعلم من المصيب فيها . وفي كل الأحوال كل العلماء مأجور سواء أخذ الواحد منهم أجرين أو أجرا واحدا . أما المقولات التي ترددها أنت والتي من خلالها تطعن في أشخاص (لا أفكار) علماء معينين لأنهم قالوا ما لست أنت مقتنعا به أو لأنهم قالوا بخلاف قول علماء آخرين أنت معجب بهم وأنت تأخذ منهم وعنهم . أنت بهذه المقولات تزيد من سيئاتك ومن حسناتهم , وفي المقابل أنت لا تغير من الواقع شيئا . إنهم علماء شئتَ أم أبيتَ , وإنهم ورثة الأنبياء شئتَ أم أبيتَ , وإنهم مجتهدون مأجورون شئتَ أم أبيتَ . هم كذلك بإذن الله عند الله أولا ثم عند أغلبية العلماء ثم عند أغلبية الناس , وهم كذلك في الواقع اليوم وغدا وبعد غد شئتَ أم أبيتَ . إنهم علماء برغم أنفك وأنفي , وسيظلون بإذن الله علماء - إن ثبتهم الله - حتى ولو انتقدتهم أنت في كل الأوقات , وحتى ولو حذرتَ منهم أنت في كل المنتديات والتجمعات , وحتى ولو سببتهم أنت في كل زمان ومكان . إنهم جميعا علماء , نعم كل منهم يؤخذ منه ويرد عليه إلا "صاحب هذا القبر (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم) ", ولكن مع ذلك يبقون علماء .
إن المسألة الفرعية تبقى فرعية إلى يوم القيامة شئتَ أم أبيتَ .
وهذا الذي قلته عن مصافحة المرأة الأجنبية يقال مثلُه عن كثير من المسائل الأخرى المشابهة مثل سماع الموسيقى الهادئة إن كانت مصاحبة لكلام نظيف .
إن كل مسألة من هذه المسائل اختلف العلماء فيها بسبب ورود أدلة شرعية ظنية لا قطعية . وقع الخلاف فيها قديما - شئتَ أم أبيتَ - , ومازال الخلاف فيها قائما حتى الآن - شئتَ أم أبيتَ - , وسيبقى قائما إلى يوم القيامة - شئتَ أم أبيتَ - . هكذا شاء الله سبحانه وتعالى شئتَ أم أبيتَ .

إن المسألة الفرعية تبقى فرعية إلى يوم القيامة لا لأن الله لم يقدر على أن يوحد القول فيها,لا !– حاشاه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا - , ولكن الله أراد الرحمة لعباده من خلال هذه المسائل الخلافية الكثيرة جدا في كل مجال من مجالات الحياة الدينية والدنيوية , وكذلك الله جعل هذه المسائل خلافية ليبقى الإسلام صالحا لكل زمان ومكان .

ثانيا : والأفضل لك في مثل هذه المسائل أن تقف أحد موقفين :

(لا ثالث لهما لأن الثالث هو عين التعصب المذموم الذي لا يحبه الله لك ولا رسوله ولا المؤمنون) :

الأول : أن تأخذ بالأيسر , بدون أن تحس بأي حرج شرعي ما دمتَ تأخذُ من عالم , وما دمتَ لا تقصد اتباع السهل في كل مسألة .

الثاني : أن تأخذ بالأشد والأصعب والأحوط . وهذا من حقك , ولكن ليس من حقك أبدا أن تعتبر أن من أخذ بالأيسر ضال منحرف أو عاصي آثم . أقصى ما يمكن أن تعتبره هو أنك على صواب ولكنه صواب يحتمل الخطأ وأن ما أخذ به الغير خطأ ولكنه يحتمل الصواب . والكل إذن على هدى ونور وإسلام وإيمان و ...

إذا اضطررتَ لسماع الموسيقى الهادئة المصاحبة لكلام نظيف من خلال برامج هادفة كفيلم أو مسلسل أو محاضرة أو ندوة أو درس أو شريط وثائقي أو صور متحركة أو أناشيد إسلامية أو أغاني ثورية أو سياسية أو... أو كدروس في العلوم الفيزيائية (تصاحبها موسيقى) [أنا أستاذ علوم فيزيائية بثانوية] . ما أبعد الفرق بين أن تسمع وأنت تحس بالذنب على اعتبار أنك تتبنى قول من قال بحرمة سماع الموسيقى ولا تعترف بالقول الآخر

(فتتعذب باستمرار من حيث لم يرد لك الله أن تتعذب) , وبين أن تسمع وأنت مرتاح البال لأنك أخذتَ بقول علماء قدامى مثل بن حزم وأبي حامد الغزالي و ... وكثيرين , ومعاصرين مثل يوسف القرضاوي ومحمد الغزالي و ... وكثيرين (خاصة من المعاصرين) , قالوا بجواز سماع الموسيقى إن كانت هادئة ومصاحبة لكلام نظيف . إن الحال الثانية أحسن لك بكثير من الحال الأولى إلا أن تكابر وتعاند أو تقول " عنزة (أو معزة) ولو طارت " كما يقول المثل عندنا في الجزائر .

ثالثا : والله إن المسألة خلافية في الدين , وليست اتفاقية :

من حقك أن لا تسمع الموسيقى –كل موسيقى- لأنك مقتنع بقول من قال بحرمتها , ومن ثم ترى أنها تقسي القلب . ولكن ليس من حقك أبدا أن تمنع غيرك من سماع الهادئ منها والمصاحب لكلام نظيف إن اقتنع بقول من قال بإباحة هذا السماع . كما أنه ليس من حقك أبدا أن ترفض كلامه وتعتبره " كذبا وزورا وبهتانا " إن قال بأنه عندما يسمع سامي يوسف مثلا ينشد أناشيد إسلامية – بالموسيقى- يحس بأن قلبه يلين أكثر ويحس بأن إيمانه يزداد . موقفك

مقبول وموقفه مقبول , والإسلام الواسع يسعكما جميعا ويحميكما ويظلكما ويستركما ويحفظكما , إن نبذتما التعصب لعنه الله .

والله الذي لا إله إلا هو - أحلف مليون مرة , بل ما لا نهاية من المرات - لقد كانت ومازالت وستبقى مسألة سماع الموسيقى (إذا كانت هادئة ومصاحبة لكلام نظيف بطبيعة الحال) محل خلاف بين الفقهاء : منهم من حرمها بإطلاق ومنهم من أجازها . ولكل أدلته القوية أو الضعيفة , والمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد , أي أن الكل مأجور بإذن الله .
والمصيب لا يعلمه إلا الله وحده . ونحن - عامة المسلمين غير المجتهدين- ما كلفنا الله سبحانه وتعالى أن لا نأخذ إلا ممن كان دليله أقوى بل فقط طلب منا أن لا نأخذ إلا من عالم " إسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ".

العالم دليله الكتاب والسنة وأما نحن فدليلنا قول العالم , ولن يسألني الله إذا سمعت أناشيد لسامي يوسف أو غيره (بموسيقى هادئة وكلام نظيف) , لن يسألني الله تعالى " لماذا أخذت بقول القرضاوي والغزالي وبن حزم وأبي حامد الغزالي و ... رحمهم الله – أحياء وأمواتا - ولم تأخذ بقول الألباني وبن باز ومالك وبن تيمية و... رحمهم الله تعالى جميعا ؟! ". لن يسألني الله أبدا بإذن الله هذا السؤال . يسألني الله فقط ويعاتبني ويعاقبني إذا أخذت ديني من جاهل أو إذا تتبعت السهل من أقوال الفقهاء في كل مسألة , لأنني عندئذ أعتبر متبعا لهواي لا للدين والإسلام .
أنت أخي من حقك أن لا تسمع الموسيقى لأنك مطمئن لقول من قال بأنها حرام – وأنت مأجور بإذن الله - ولكن ليس من حقك أن تمنع غيرك من السماع مادام هناك علماء قالوا بالجواز , بغض النظر عن قوة أو ضعف دليل الواحد منهم . المهم أنهم علماء , وهم جميعا بإذن الله ورثة الأنبياء .
ومن حقك أن تقول بأن سماع الموسيقى يقسي عندك القلب , ولكن من حق غيرك كذلك أن يقول لك بأن إيمانه يزداد ومعنوياته ترتفع عندما يسمع أناشيد إسلامية مثل أناشيد سامي يوسف أو غيره من أصحاب الغناء النظيف الطيب المبارك , طبعا بدون أن يبالغ في السماع وبدون أن يلهيه السماع عن أداء واجب أو يجره السماع إلى فعل حرام .
يا ليتنا – إخواننا الكرام - نوسع صدورنا في المسائل الخلافية ولا نتشدد إلا في المسائل الأصولية . يا ليتنا نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه .يا ليتنا نوجه سهامنا إلى أعداء الدين الذين يحاربون الإسلام بالليل والنهار ونحن غافلون , عوض أن نوجه سهامنا لبعضنا البعض .
إن المسألة الخلافية تبقى خلافية إلى يوم القيامة , شئنا أم أبينا , والله أرادها أن تبقى خلافية , وذلك للتيسير على الناس , وليجد المتشدد نفسه معها وهو مسلم , وليجد المتساهل نفسه معها وهو مسلم كذلك , وليبقى الإسلام صالحا لكل زمان ومكان . إن سماع الموسيقى مسألة خلافية منذ 14 قرنا ولن ترجعها أنت (الذي تقول بأن سماع أناشيد سامي يوسف حرام) لن ترجعها إتفاقية وأصولية مهما حاولتَ , والأفضل لك أن لا تُتعب نفسك مهما كانت نيتك الطيبة . ولو أراد الله لها أن تكون أصولية لجعل أدلتها قطعية لا ظنية , ولمنع علماء الإسلام أن يختلفوا فيها حتى لا يبقى الناس في حيرة من أمرهم . وهذا الذي أقوله عن سماع الموسيقى

يقال مثله عن آلاف المسائل الخلافية الفرعية في الدين: في العبادات والمعاملات وكذلك في العقيدة .

رابعا : نعم ثم نعم ثم نعم :

1-نعم إن كل غناء صاحبته موسيقى صاخبة هو غناء حرام سماعه بلا خلاف بين عالمين مسلمين .

2-ونعم إن كل غناء كلماته منحلة ومائعة وساقطة وهابطة وفاسقة وفاجرة و...هو غناء حرام سماعه باتفاق كل الفقهاء والعلماء قديما وحديثا .

3-ونعم إن أغلب الغناء السائد في دنيا الناس اليوم , والذي يُبثُّ عبر التلفزيونات والأنترنت والأشرطة والأقراص و... هو غناء حرام سماعه بإجماع كل الفقهاء والعلماء من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى اليوم . وأما الجائز منه والمباح فهو الغناء القليل جدا للأسف الشديد .

4- أنا لا أسمع الغناء الساقط أبدا , كما لا أسمع الغناء المصاحب لموسيقى صاخبة , لا أسمعه أبدا . وأنا في المقابل لا أسمع الموسيقى إلا قليلا جدا جدا جدا , وأسمعها (عندما أسمعها) إما لوحدها (كالموسيقى التركية مثلا) , وإما مصاحبة لأناشيد دينية (مثل أناشيد سامي يوسف) .

خامسا : ولكن أمرَ بعض الإخوة غريبٌ وعجيب :

أنا أتعجب كثيرا من موقف بعض الإخوة الرافض مطلقا للقول بأن بعض العلماء المسلمين قديما وحديثا أباحوا وأجازوا السماع إلى الموسيقى الهادئة المصاحبة لكلام نظيف .

أنا أرى بأن موقف هؤلاء غريبٌ وعجيب لأسباب عدة منها :

1- أن المسألة خلافية وستبقى كذلك إلى يوم القيامة , وهم يريدون بالقوة وبالباطل تحويلها إلى اتفاقية .

2 – أنهم إما أن يستمعوا إلى الموسيقى أو لا يستمعون إليها :

أولا : إن استمعوا إليها : لو سمع هؤلاء الموسيقى الحلال , فإنهم حين يسمعونها وهم مطمئنون إلى أن بعض العلماء قالوا بجواز ذلك , سيسمعون وضميرهم مرتاح كل الارتياح لأن الله لن يعذب شخصا أبدا في مسألة اختلف فيها العلماء (كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه) .

وأما إن استمعوا إليها وهم يعتقدون بحرمة السماع , فإنهم سيسمعون وصدورهم منقبضة , وضمير كل واحد منهم غير مرتاح , وكل واحد منهم سيستمع إلى الموسيقى وهو يحس بالذنب والإثم والمعصية و ... وسيعيش باستمرار معذبا وشقيا و...

وما أبعد الفرق بين الأول (المعتدل) المرتاح والسعيد , والثاني (المتعصب) المعذب والشقي !!!. إن الفرق بينهما كالفرق بين الأرض والسماء .

وكذلك فإننا نسمع الموسيقى (حين نسمعها) على اعتبار أن هناك علماء أجازوا ذلك , هذا خير لنا مليون مرة من أن نسمع الموسيقى على اعتبار أننا مضطرون لذلك , و"الضرورات تبيح المحظورات" .

ثانيا : إن لم يستمعوا إليها : فسيعيشون على هامش الحياة الدنيا وبعيدا عن الناس , وسيحرمون أنفسهم من خير الدنيا والآخرة الذي يمكن أن يُنالَ بالعيش مع الناس ومخالطتهم والتعرف عليهم وإعطائهم والأخذ منهم والتعاون معهم ودعوتهم إلى الخير والاستفادة منهم والصبر على أذاهم و ... وعندئذ يصبح بطنُ الأرض أولى للواحد منهم من ظهرها .

أقول هذا لأنني أحب أن أكون واضحا وصريحا . من الصعب جدا أن نعيش اليوم بدون أن نسمعَ الموسيقى .

نعم !. لو كان الأمرُ حراما بلا خلاف , فإننا سنقول وبصوت مرتفع " نموت ولا نرتكب ما حرم الله ورسوله " , ولكن هذه المسألة التي نحن بصدد مناقشتها هي مسألة خلافية بين العلماء , ومنه فإن الموقف منها مختلف كل الاختلاف , والمطلوب فيها سعة الصدر لا التعصب .

نحن نسمع الموسيقى شئنا أم أبينا : نسمعها مع الهاتف النقال ومع نشرة الأخبار في التلفزيون أو الإذاعة ومع المسلسل الديني ومع الفيلم الديني ومع الشريط العلمي ومع التحقيق الاجتماعي أو التاريخي أو السياسي ومع الصور المتحركة ومع درس الفيزياء والطب والرياضيات ودرس العلوم الشرعية و...ومع الشريط أو القرص الخاص بتعليم الصلاة والصيام والإسلام و... ومع المنبه ومع ساعة اليد ومع الساعة الحائطية ومع الآلة الحاسبة ومع ...الخ ...

ومنه فإنني أقول في النهاية بأن أمر إخواننا المتشددين في هذه المسألة عجيب وغريب .

إنهم إما أنهم لا يسمعون الموسيقى البتة , ولا يسمعونها بالفعل , ولا يسمعونها أبدا , فهؤلاء كأنهم لا يعيشون مع الناس , بل يعيشون في الغابة مع " ماوكلي " .

وإما أنهم يسمعونها حقيقة وواقعا , ولكنهم في المقابل – وبسبب تشددهم وتعصبهم وتزمتهم – يقيمون الدنيا ولا يقعدونها على من يسمع الموسيقى , وكذا على من يقول بأن هناك علماء أباحوا السماع للموسيقى الهادئة والمصاحبة لكلام نظيف .

سادسا : لا ينكر الخلاف بين الفقهاء إلا جاهل أو مكابر ومعاند ومتعصب :

1-عندما أقول " إن الذي يقول بأنه لا خلاف بأن الموسيقى حرام : إما أنه من أجهل الناس بالدين , وإما أنه مكابر ومتعصب ومتزمت ومتشدد ليس إلا " . أنا أتحدث عن عامة الناس مثلي , وحديثي لا علاقة له بالعلماء لا من قريب ولا بعيد . إن مشكلتي هي مع المتعصبين من العامة , وليست أبدا مع العلماء حاشاهم رحمهم الله جميعا ورضي الله عنهم جميعا. أنا أتحدث عن المتعصبين " إن الذي يقول منهم بأنه لا خلاف بين العلماء قديما وحديثا بأن السماع إلى الموسيقى حرام , هو إما جاهل وإما أنه يعرف ولكنه مكابر بسبب تعصبه وتزمته وتشدده " . قلتها وأكررها مليار مرة .
الذي يقول بأن إجماع العلماء منعقد على أن السماع إلى الموسيقى حرام هو : إما جاهل وإما أنه يكذب على العلماء وعلى الله وعلى الدين وعلى الحق وعلى العدل , لأن العلماء مختلفون والله أراد لهم أن يختلفوا (ولو أراد لهم أن يتفقوا لجعل الأدلة قطعية) والمتعصب يقول بأنهم لم يختلفوا .

2-أنا ما قلتُ أبدا بأن القول بجواز سماع الموسيقى هو القول الراجح أو الأقوى أو هو قول الجمهور أو ... ولكنني فقط قلتُ بأنه قول معتبر عند علماء الإسلام ومن قال به مجتهد له أجران أو أجر واحد , والله وحده أعلم بالصواب , ومن أخذ بهذا القول من عامة المسلمين ليس آثما ولا يلام أبدا ولا يعاتب أبدا , لأنه أخذ من علماء .

3- إذا قال شخص بأن القول بحرمة السماع هو قول معظم الفقهاء أو هو قول الجمهور , ولم يقل هو محل إجماع , فقد انتهت المشكلة ويكون قد رجع إلى ما قلتُه أنا (مع أن مسألة الأقلية والأكثرية نسبية في كثير من الأحيان) , لأنه إذا كان المعظم يقول بالحرمة , فإن الأقل قالوا بالجواز , وتكون المسألة عندئذ خلافية , والله لا يعذب عبدا في مسألة خلافية , والله كذلك يعطي الأجر للعالمين في كل مسألة خلافية . وليس هناك أي دليل في الشرع (قوي أو ضعيف) على أن الله يحاسبنا يوم القيامة " لماذا أخذتم بقول أقلية العلماء ولم تأخذوا بقول الأكثرية , أو لماذا أخذتم بالقول المرجوح ولم تأخذوا بالقول الراجح ؟! ".
لن يحدث هذا أبدا بإذن الله , لأن الله قال " اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " . وأما الراجح والمرجوح والأقلية والأغلبية , فهي تعني العلماء والفقهاء ولا تعنينا نحن عامة الناس أو المقلدين .

4-كم أشفق على بعض المتعصبين عندما ألاحظ بأنه لا يعرف ثوابت الدين ولا المسائل الخلافية , ثم يتحدث في الدين ويسب الدعاة والعلماء و...
والله ثم والله ثم والله ألف ومليون ومليار مرة : إن الموسيقى والمولد واللحية وإسبال الإزار والتصوير غير المجسم للإنسان أو الحيوان والمصافحة و ... آلاف المسائل الأخرى هي محل خلاف بين العلماء شئتم أم أبيتم , وسواء سخرتم أم سببتم أم حذرتم أم اعترضتم , والله إن هذا لا يغير من الأمر شيئا .
أنا لا أدري لماذا لا يشغل الإخوة أنفسهم بالمسائل الأصولية ويتعصبون لها , ثم يوسعوا صدورهم في المسائل الخلافية ؟!. لم لا يفعلون ذلك حتى تصبح مشكلتنا مع أعداء الإسلام لا ضد بعضنا البعض .

الله أراد لهذه المسائل أن تكون خلافية ولو أراد لها الإجماع لوضع لها أدلة قطعية , وهو قادر على ذلك . وأنتم حين تريدون تحويل المسائل الخلافية بالقوة إلى اتفاقية , أنتم تعتدون على الدين وتطلبون المستحيل, وتعترضون على ما أراد الله , وتدخلون في مئات المعارك مع مسلمين , وتعيشون أشقياء و ... ثم لن تغيروا من الأمر شيئا , لأن الخلاف سيبقى بالرغم عن كل محاولاتكم اليائسة .والله سيبقى الخلاف ولو فعلتم المستحيل من أجل التخلص منه.

سابعا : بين الراجح والرجوح :

قال أخ كريم وفاضل – جزاه الله خيرا – " حكم الإسلام في السماع للموسيقى مسألة خلافية , ولكن الراجح هو القول بالتحريم , وهو القول الذي يجب الأخذ به ".

وهذه كلمة فيها أكثر من تناقض , وهي غير شرعية ولا منطقية البتة .

1- الترجيح مهمة مطلوبة من العلماء والفقهاء والمجتهدين وليس من العامة , لأن العامة والمقلدين ليست لهم أدوات الترجيح الكافية .

2- أما القول بأن الراجح هو التحريم فهو قول نسبي وفيه من النسبية ما فيه . لماذا ؟ لأنه في كل مسألة خلافية بين العلماء , تجد علماء يرجحون قولا وآخرين يرجحون قولا آخر . ويمكن أن أضرب على ذلك أكثر من ألف مثال , نعم أكثر من ألف مثال , وبدون أية مبالغة . في كل مسألة مثل الموسيقى والمولد النبوي والتصوير غير المجسم لإنسان أو حيوان وإسبال الثياب والنقاب والمصافحة واللحية والقنوت ومسح الرأس في الوضوء وأكل الحمير ونجاسة الخمر والقصر في السفر والجمع في السفر والطلاق الثلاث ورفع اليدين قبل الركوع وبعد الركوع و ... يمكن أن أذكر 1000 أو حتى أكثر من ألف مسألة اختلف فيها الفقهاء , وكل فريق من العلماء يقول " قولي هو الراجح وهذه أدلتي على ما أقول " ويقول " وأما أدلة الآخرين فهي مرجوحة وهذه هي الأدلة على أنها مرجوحة ". والحقيقة ثم الحقيقة ثم الحقيقة

هو أن الراجح بالفعل , الله وحده أعلم به . ووالله في كل مسألة خلافية لا دليل قطعي لا من الكتاب ولا من السنة يدل دلالة قطعية على أن القول " كذا " هو الراجح , وإلا لو وُجد دليل قطعي على أن أحد القولين هو الراجح لرجع إليه كل العلماء ولانتهى الخلاف وأصبحت المسألة محل إجماع . وما دام الخلاف لم ينته فمعنى ذلك أنه لا يوجد أي دليل قطعي على أن القول " كذا " هو الراجح .

3- ثم " القول بتحريم السماع للموسيقى هو الراجح الذي يجب الأخذ به والعمل به " هي كلمة مضحكة ومتناقضة كل التناقض , لأن المسألة إن كان فيها راجح ومرجوح , فهي مسألة خلافية , وإذا كانت خلافية فمعنى ذلك أن الكل مجتهد (له أجران أو أجر واحد) , ولا حرج على أي مسلم عامي ومقلد مثلي أن يأخذ بهذا القول أو بذاك لأن المسألة خلافية , والله قال فقط " إسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " , ولم يقل لنا أبدا " خذوا بالراجح من القولين وإلا فأنتم آثمون وعصاة ومذنبون " . والله ثم والله ثم والله ما قال الله ذلك ولا قال رسول الله ذلك .

إذن من أين جاءت كلمة " هو الراجح , الذي يجب الأخذ به والعمل به " ؟!.

4- وأخيرا وإذا قلنا بأنه القول بتحريم السماع للموسيقى هو الذي يجب الأخذ به (عند الله , وأؤكد على "عند الله" لا عند بعض الفقهاء) فإن معنى ذلك أنه يحرم الأخذ بالقول الآخر , أي بجواز السماع للموسيقى(عند الله , وأؤكد على " عند الله " لا عند بعض الفقهاء) .
ومعنى ذلك أن المسألة أصبحت اتفاقية ومحل إجماع , أي معنى ذلك أن الإجماع منعقد على حرمة السماع للموسيقى " , وهذا متناقض مع الحقيقة والواقع لأن المسألة في الحقيقة والواقع محل خلاف شاء المتعصبون أم لم يشاءوا . وهذا متناقض كذلك مع قول الشخص نفسه " حكم الإسلام في السماع للموسيقى مسألة خلافية ". والله ورسوله أعلم .

والله أعلم وأعلى . نسأل الله العلم والإيمان والهداية لنا ولإخواننا , آمين .

.....

9- وقفات بسيطة مع السنة والبدعة :

1- فرق بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية :

البدعة عموما يمكن اعتبارها عبارة عن كل ما هو جديد مما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ويمكن تقسيم البدعة بهذا المعنى إلى قسمين : بدعة لغوية وبدعة شرعية :

ا- أما البدعة اللغوية : فنعني بها كل جديد متعلق بالمعاملات لا بالعبادات .
وينطبق على البدعة بهذا المعنى أو على البدعة اللغوية الأحكام الشرعية الخمسة : الوجوب , الاستحباب , الجواز أو الإباحة , الكراهة , وأخيرا التحريم .

* من أمثلة البدع اللغوية الجائزة صنع أكلات مشهورة وجديدة وأكلها , شرب عصير جديد , لبس حذاء من الأحذية العصرية , صبغ جدران البيت بصبغة لم تكن في عصور سابقة , الكتابة على الورق بقلم حبر أو على السبورة بقلم خاص , الجلوس في المؤسسات التعليمية على كراسي وطاولات عوض الجلوس على الأرض أو على زرابي , وهكذا... ويقاس على هذا الذي ذكرتُ مئات وآلاف الأمثلة الأخرى .

* * ومن أمثلة البدع اللغوية المستحبة أو الواجبة طبع القرآن وكتابته والتلفزيون والسينما والكمبيوتر والأنترنت والفيديو والمسجلة والهاتف النقال والدراجة والسيارة والطائرة والبلدية والدائرة والولاية والانتخاب والمصعد وناطحات السحاب ومكبرات الصوت ونحو ذلك من الأمور العادية الدنيوية المبتدعة ، إن استخدمت هذه الوسائل – بطبيعة الحال - في خير ونفع وفائدة ولم يكن فيها محذور شرعي ، ولم يكن في ذلك كذلك ظلم لأحد ولا نصر لبدعة أو منكر . إن هذه الأمثلة كلها ليست داخلة في الأحاديث المحذرة من البدع , ولكنها أمور مستحبة في الدين أو واجبة .ويقاس كذلك على هذا الذي ذكرتُ مئات وآلاف الأمثلة الأخرى .

* * * ومن أمثلة البدع اللغوية المكروهة أو المحرمة إضاعة الوقت الطويل جدا مع متابعة مباريات كرة قدم مثلا أو مع اللغو من الحديث , وكذا نوادي الميسر والقمار , والفوائد الربوية المختلفة والمستحدثة , والغناء الخليع والمائع المصاحب لموسيقى صاخبة , وتصوير النساء في الأعراس وغيرها بواسطة الكاميرا ثم عرضها للتفرج عليها من طرف أجانب من الرجال , وشرب الدخان , وتناول المخدرات , وتبني النظريات الكافرة في علم الاجتماع أو علم النفس أو الاقتصاد أو تبني نظرية التطور لداروين التي تقول بأن " جدنا قِردٌ وليس آدم عليه الصلاة والسلام , و... ويقاسُ على هذا الذي ذكرتُ مئات وآلاف الأمثلة الأخرى .

ب- وأما البدعة الشرعية : فلها معنى آخر , وهو أنها طريقة مخترعة في الدّين يُقصد بها التعبّد والتقرب إلى الله تعالى , وهذا يعني أنّه لم يرد بها الشّرع ولا دليل عليها من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو ... ولم تكن على عهد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وواضحٌ من التعريف أن البدع الشرعية متعلقة فقط بالعبادات , لا بالمعاملات , كما أنه واضحٌ بأنّ المخترعات الدنيوية لا تدخل في مفهوم البدعة الشرعية . والبدعة الشرعية مذمومة دوما عند كل العلماء , وحكمها أنها إما مكروهةٌ أو حرامٌ . والحرام منها قد يكون كبيرة من الكبائر وقد يكون صغيرة من الصغائر . والكبيرةُ من البدع الشرعية منها ما لا يُخرجُ صاحبها إلى الكفر , ومنها ما يُخرجُ صاحبَها عن الملة مثل عبادة الأصنام أو سب الصحابة أو تأليه علي بن أبي طالب أو القول بأن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن الحقيقي الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام , أو ...

2- البدعة الحسنة :

البدع اللغوية المستحبة أو الواجبة هي التي يسميها بعض العلماء سنة حسنة قال فيها رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة " أو
يسمونها " بدعة حسنة " , في الوقت الذي يرفضُ فيه علماء آخرون هذه التسمية ويعتبرونها تسمية باطلة وغير شرعية .

أما الأولون : فيعتبرون أن في الدين بدع حسنة وبدع سيئة . أما البدع الحسنة فهي عندهم البدع اللغوية المستحبة أو الواجبة والمتعلقة بالمعاملات أو بالعادات والسياسات الشرعية والمعاملات أو بالمسائل التوفيقية , والتي يمكن اعتبارها هي المصالح المرسلة , وأما البدع السيئة فهي عندهم البدع الشرعية التي هي دوما مكروهة أو حراما كما أنها متعلقة عموما بالعبادات وبالمسائل التوقيفية في الدين . وهؤلاء العلماء يأخذون كلمة البدعة بمعناها اللغوي , وهي المستحدثات عموما . وبالتالي فإن بعض البدع بهذا المعنى لا يدخلها الذم لأن المستحدثَ ليس مذموما بالكلية وليس مذموما كله , ومنه فإن " العز بن عبد السلام" رحمه الله مثلا يعتبر البدعةَ بهذا المعنى (أي البدعة اللغوية) بأنها قد تكون واجبة أو مستحبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة بحسب موقعها من مقاصد الشرع . إن " العز بن عبد السلام " ومعه الشاطبي ومعهما كثيرٌ من العلماء القدامى والمعاصرين يستخدمون هنا اللفظ بمعناه اللغوي لا الاصطلاحي كما وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتماع الناس على صلاة التراويح بقولة " نعمت البدعة هذه " . وهؤلاء العلماء يُدخلون البدع اللغوية فيما يسمى بالمصالح المرسلة التي يعتمد عليها بعضُ الفقهاء كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي . والمصالح المرسلة يُعرفها الأصوليون بأنها المصالح التي لم يشهد الشارعُ لها باعتبار أو بإلغاء , فهي مصلحة لأنها تجلب نفعا أو تدفع ضرا , وهي مرسلة من اعتبار الشارع أو إلغائه , أي أنها مسكوتٌ عنها لا نص فيها ولا نظير لها يقاس عليه . وهي مع ذلك وصفٌ مناسبٌ لتشريع حكم معين من شأنه أن يُحققَ مصلحة شرعية موافقة لأصول الشريعة . ومن أمثلة ذلك ما فعل الصحابة من جمع القرآن وتضمين الصناع وقتل الجماعة بالواحد , و... فهذه فتاوى وأقضيات لم يرد في الشرع نصٌّ عليها ولم يكن هناك نصٌّ له علة تجتمع معها لنقيس عليه , وهي مع ذلك تُحقِّقُ مصالح حقيقية شرعية لعموم المسلمين توافقُ مقاصدَ الشريعة . وقد جعل المالكيةُ المصالحَ المرسلة ضمن أصولهم وكذا الحنابلة وتوسعوا فيها كثيرًا , بينما رفضها (فقط من حيث الشكل) الشافعيةُ والأحناف , وإن تضمنت فتاواهم وأقضيتُهم كثيرا منها معتمدا على المصلحة . حتى أن الأحنافَ خصُّوا بالمصلحةِ العامَّ وقيدوا بها المطلقَ , أي أنهم لم يستطيعوا تجاهلَها , لأن الشريعةَ أصلا مبنيةٌ على المصالحِ . ثم ولما كانت المصالحُ المرسلةُ مظنةَ العبث بها بدعوى تحقيق المصلحة ومدخلا للتفلُّتِ من الأحكام الشرعية , فقد اهتم العلماءُ بوضع الضوابط الكافية لحماية هذا الأصل وضبطه ليحقق مقصودَه .
ومما سبق نستنتج بأن المصالح المرسلة تكون في العادات والسياسة الشرعية والمعاملات وأمور الدنيا ومخترعاتها لأنها معقولة المعنى , أما العبادات فلا تدخل فيها لأنها توقيفيةٌ وهي غالبا غير مقبولة المعنى . وكما قلتُ فإن بعضَ العلماء اعتبروا البدعة اللغوية المستحبة أو الواجبة مصالح مرسلة , وسموها " بدعة حسنة " أو " سنة حسنة " . وأما البدعة الشرعية فالكل متفق على أنها سيئةٌ ولا يمكن أن تكون حسنة , وعلى أنها مكروهةٌ أو حرامٌ .

3- البدعة الشرعية :

* هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية يَقصدُ بها صاحبُها المبالغة في العبادة من علم أو عمل أو حال .
* * أو البدعة الشرعية هي ما أُحدثَ بعد النبي صلى الله عليه وسلم على أنه دينٌ وشرع بتأويل أو شبهة غير معتد بها .
* * * أو البدعة الشرعية هي أمر مستحدثٌ في الدين على مثال العبادة يُراد به الثوابُ .
* * * * أو البدعة الشرعية هو أمر مستحدثٌ لم يكن على عهد النبوة ولم يرد فيه نص أو نظير يقاس عليه
- تماما مثل المصالح المرسلة - , ولكنه يخالفها في أنه في العبادات لا المعاملات , وأنه يُراد بفعله المبالغةُ في العبادة ونيل الثواب .
ولما كانت العبادات توقيفية الأصلُ فيها الحظرُ والمنعُ , ولا يجوز استحداثُ شيء فيها , فقد وصفَ الحديثُ
" كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار" هذه البدعة بأنها ضلالة وأن كل ضلالة في النار وزجر الناسَ عنها . ولذلك فإن البدعة الشرعية هي دوما سيئةٌ عند كل العلماء والفقهاء , وهي إما مكروهة أو أنها حرام . ومن خلال ما سبق ندرك أن شروطا ثلاثة يلزم توافرها ليوصف الفعل بأنه بدعةٌ مذمومةٌ وهي :

ا- أن يكون الأمر مستحدثٌ .
ب- أن يكون في العبادات لا في المعاملات .
جـ- أن يقصدَ صاحبُه المبالغةَ في العبادة لنيل الثوابِ .

وإذا قلنا بأن علماء عدوا المصالح المرسلة بدعا لغوية حسنة أو " سنة حسنة " , فإنه لا خلاف بين العلماء جميعا في أن البدع الشرعية لا علاقة لها عند الكل , لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بالمصالح المرسلة ولا بالبدع اللغوية المستحبة أو الواجبة أو المباحة ولا بالبدع الحسنة ولا بالسنة الحسنة , وذلك بسبب الفروق الأساسية بينهما , والتي يمكن أن نذكر منها ما يلي :

ا- المصالحُ المرسلة تلائمُ مقاصدَ الشرعِ بينما تناقضُ البدعةُ الشرعيةُ ذلك .
ب- المصالحُ المرسلةُ معقولة المعنى ومناسبةٌ للحكم , بينما البدعُ الشرعية غير معقولة المعنى , لأنها متعلقةٌ بالعبادات .
جـ-المصالحُ المرسلة تكون لحفظ ضروري أو حاجي بالتخفيف ورفع الحرج , وأما البدعُ الشرعية فهي زيادة تكليف وهي لذلك مضادة للتخفيف .
د- المصالحُ المرسلة تكون في العادات والمعاملات والسياسة الشرعية , وأما البدعة الشرعية فتكون بشكل عام في العبادات .

4- العبرة بالمسمى لا بالإسم :

ومنه فإنه ليس مهما أن نتـنازع ونختلف ونتصادم ونتعارك وأن ...من أجل الاختلاف في الإسم " هل هناك في الدين بدعة حسنة أم لا ؟ " , و"هل هناك في الدين بدعة لغوية حسنة أم لا ؟ " " و " هل هناك في الدين سنة حسنة أم لا ؟ " , وإنما الذي يُـهم بالدرجة الأولى أن نتفق على كل مسألة : هل هي جائزة أم حرام أم واجبة أم ... وكما أن الفقهاء الأربعة على سبيل المثال مهما اختلفوا في اعتبار المصالح المرسلة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي أو عدم اعتبارها مصدرا , إلا أن الكل – تقريبا – اتفقوا على ما يجوز وما يباح وما يجب حتى وإن اختلفوا بعد ذلك في الغطاء وفي اسم الدليل الشرعي وفي ... هل هو مصالح مرسلة أو هو استحسان أو غير ذلك من الأسماء ... ولذلك قلتُ قبل قليل " بـينما رفض الشافعيةُ والأحنافُ المصالحَ المرسلة أو البدعَ الحسنة , رفضوها فقط من حيث الشكل , وإن تضمنت فتاواهم وأقضيتهم كثيرا منها معتمدا على المصلحة . حتى أن الأحنافَ خصوا بالمصلحة العام وقيدوا بها المطلق , أي أنهم لم يستطيعوا تجاهلها (ولو أعطوها إسما آخر غير المصالح المرسلة) , لأن الشريعة أصلا مبنية على المصالح " .
ومن هنا فإنني أتمنى لنا نحن كذلك – عامة المسلمين- أن لا نـهتم كثيرا بالاسم وإنما يجب أن نـهتم بالدرجة الأولى بالمسمى .

5- " خير الأمور أوسطها " :

إنني أرى في واقع المسلمين اليوم أن الناسَ في الكثير من الأحيان على طرفي نقيض :
ا- إما أنهم باسم التجديد في الدين والتحديث والعصرنة وباسم التيسير في الدين والتبشير به وتسهيله على النفس وعلى الناس و باسم التفتح و... تجدهم يتساهلون إلى درجة تشبه الميوعة والانحلال في الدين وتُدخلهم في الكثير من الأحيان في دائرة الابتداع السيء أو البدعة الشرعية التي لا خلاف في أنها بدعة سيئة مكروهة أو حرام , سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا , وسواء كانت نيتهم حسنة أم سيئة . ومن أمثلة ذلك :

1- حرص المأمومين على الدعاء مع الإمام جماعيا بعد كل صلاة من الصلوات المفروضة في بعض المساجد هنا وهناك .
2- الدعاء الجماعي بين الإمام والمأمومين بعد نهاية كل صلاة جنازة .
3- الاحتفال باليوم الأربعين بعد وفاة الميت .
4- قراءة القرآن الكريم جماعيا في بيت الميت وفي اليوم الذي يموت فيه الميت , بطريقة فيها من المنكرات ما فيها سواء تمت بأجر أم بلا أجر .
5- الطرق المتبعة عند الكثير من الناس من أجل الوقاية أو العلاج من العين من مثل " الأصابع الخمسة أمام باب الدار " أو " العجلة فوق سقف الدار " , أو " ذر الملح على رأس الشخص" أو ...
6- صيام يوم المولد النبوي الشريف .
7- إتاحة الفرصة أمام المرأة لتـزوج نفسها بنفسها , كما هو الحال بالنسبة للرجل .

الخ ...

ب- وإما أنهم باسم اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية , وكذا باسم محاربة البدعة الشرعية , وباسم التأسي بسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام , وباسم اتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين , وباسم الاتباع لا الابتداع , وباسم مخالفة الكفار في كل شيء , وباسم أنه لا يوجد في الدين إلا البدعة السيئة فقط وأما البدعة الحسنة فباطل في باطل , وباسم الاحتياط في الدين أو التشدد فيه , وباسم أنه لن يصلُح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها ... تجدهم يكادون يُحرِّمون كلَّ شيء على الناس ويقولون عن كل شيء بأنه بدعةٌ محرمة , أو يقولون عما ليس بسنة في الدين بأنه سنة شرعية , أو ... يقولون كلَّ ذلك وغيرَ ذلكَ ويُحرِّمون ويتشددون ويتعصبون ويتزمتون ويُبَدِّعون و... بلا دليل شرعي ولا برهان قوي أو ضعيف وبلا حجة أو شبه حجة وبلا سند من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو أي مصدر من مصادر التشريع الإسلامي . ومن أمثلة ذلك :

1- القول بأن كل مؤمن ومسلم , هو يدعو 17 مرة كل يوم بأن يهديه الله للسلفية , وذلك حين يقول في الصلاة " اهدنا الصراط المستقيم " !.

2- القول بأن مجرد سماع الأناشيد الدينية ولو بدون موسيقى ولو حتى بدون دف ولو في الأعراس والأعياد , بأن ذلك بدعة وهي حرام !.

3- القول بأن كل مصلي يذهب إلى المسجد ليصلي جماعة مأموما , عليه أن يؤذن أذانا خاصا به هو قبل أن يدخل في الصلاة جماعة خلف الإمام !.

4- عندما نـقول عندنا في الجزائر لمن انـتـهى من الأكل أو الشرب " صحَّ ليك " (أي صحة وعافية بإذن الله) يقول لنا قائل " هذا الدعاء بدعة , وهو حرام " !.

5- القول بأن اللباس الخاص بالطبيب (وكذا بالتلميذ , والأستاذ , والممرض , والعامل في الشركة أو المصنع أو الإدارة أو ...) هو بدعة مكروهة أو حرام لأن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم ينصح بذلك ولم يأمر به ولم ينبه عليه .

6- القول بأنه من السنة أن يتزوج الرجل وعمره 25 سنة !!!.

7- عندما ترسم خطوطٌ في المسجد من أجل المساعدة على تسوية الصفوف واعتدالها يقول لنا قائل " هذه بدعة , وهي حرام " !.

8- القولُ بأن دراسةَ غير العلوم الإسلامية من الابتدائي إلى نهاية الجامعة , دراسةَ غيرها من علوم الدين أو الدنيا هو كله بدعةٌ محرمة , وهو كله ضلالٌ وانحرافٌ , وأن المطلوبَ فقط هو دراسةُ العلوم الشرعية فقط !!!.

الخ...

والخير كل الخير في الوسط بين هؤلاء المتعصبين وأولئك المنحلين , ولا ننسى أن " خير الأمور أوسطها " . والله وحده أعلم , وهو وحده الموفق والهادي لما فيه الخير